الوباء في الأدب

قـراءة تاريخية

د. هجيرة بن صميدة

(كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي)
(جامعة 8ماي 1945 قالمة)

الوباء في الأدب
قـراءة تاريخية

الشهاب الأكاديـمية

©منشوراتالشهاب، 2025.
الهاتف: 67 15 99 0555 / الفاكس: 04 72 84 023
www.chihab.com / fb : Chihab éditions
978-9961-63-414-1 : ISBN
الإيداع القانوني : أكتوبر 2025

الإهداء

إلى أستاذي البروفيسور صالح ولعة

إلى والديّ الكريمين

إلى زوجي الحنون

إلى فلذات أكبادي

د. هجيرة بن صميدة

المقدمة

يعدّ الوباء من أبرز الموضوعات التي طُرحت في الأدب العربي والعالمي، وذلك لتفشيه عبر العصور، ولجسامة لواحقه بالشّعوب والبلدان في مختلف أقطار العالم، لأسباب متعدّدة منها ما هو مجهول، ومنها ما هو ليس كذلك، ومن أبرز مظاهره تأرجح مساعي البشر بين راغب في البقاء مقاوم للخطر، وبين مستسلم له، فتكون النتيجة الأبرز تلك الفوضى العارمة التي تجتاح أطراف العالم، وتبقى آثارها تطلّ علينا في كلّ زمن.

وما كان هذا الموضوع ليلفت الانتباه، أو يأخذ قسطا وافرًا من الاهتمام لولا أنّه يثير إشكاليّة، تدور في فلك الأدب والوباء والعلاقة التي تجمعهما.

وتتمثّل أهمية الموضوع في كونه: دراسة بكرا في سياق الوباء، تسعى إلى مواكبة الدّراسات المنصبّة حوله من وجهة أدبيّة، كاشفة لرؤى، وتصوّرات المبدعين انطلاقا من تتبع موضوعة الوباء عبر العصور في أعمال أدبية لها خصوصيّاتها.

ويتلخّص الهدف من هذا البحث في محاولة تتبع موضوعة الوباء في مختلف العلوم انتهاء بالأدب بوصفه مجالا معرفيا سلطنا فيه الضوء على حضور الوباء في مختلف الإبداعات.

ويجدر التنويه إلى قلّة الدّراسات الأدبيّة حول الوباء؛ إذ لم أعثر بعد البحث، والتنقيب على دراسة (ماجستير أو دكتوراه) تناولت حضور الوباء في الأدب بمختلف أجناسه وأنواعه، ماعدا بعض المقالات. فعلى الرغم من الحضور القويّ لثيمة الوباء في الأنواع الأدبيّة بخلفيّة معرفيّة ثريّة، ومقاصد متنوّعة، لكن الدراسات الأكاديميّة لم تُوله اهتماما بالدّراسة بوصفه موضوعا رئيسا. فضلا عن اهتمام المبدعين العرب والغربيين بثيمة الوباء ترميزا وتوصيفا، ممّا جعلها تنفتح على قراءات وتأويلات متعدّدة.

ومن المقالات التي اعتمدتها في دراستي، أذكر منها مقالا بعنوان"الحب في زمن الكوليرا، والكورونا، بين الشعر والسّرد" ل"عبد الغني خشّة"، والذي انتهج فيه الدراسة المقارنة بغية الكشف عن التقاطعات الناتجة عن موضوعة "الحب"، بين رواية "الحب في زمن الكوليرا" للرّوائي غابريال غارسيا"، وقصيدة "الحب في زمن الكورونا" "لحمة الهمامي، واستقيت من المقال "مفهوم أدب الوباء" للتدليل على استحداث النقاد والدّارسين لهذه التسمية المواكبة لوباء فيروس كورونا في العصر المعاصر، بعد أن كان هذا النوع من الأدب طيلة العصور السّابقة يندرج ضمن تسمية "أدب الكوارث"، ودعّمتُ هذا الرّأي بما أورده الباحثان "هاني إسماعيل"و"عماد عبد الباقي علي" في مقالهما الموسوم ب" تجلّيات كورونا في الشّعر المعاصر-دراسة نقديّة"، والذي درسا فيه القصائد المواكبة لوباء فيروس كورونا، من منظور المنهج النقدي. وكذلك ما أوردته الباحثة "ضياء الكعبي" في مقالها الموسوم ب"أدب الأوبئة بين الخيال، والواقع" في السياق ذاته والذي قدّمت فيه رؤية واضحة بيّنت فيها استقلال أدب الأوبئة أدبا قائما بذاته منبثقا عن أدب الكوارث له خصائص، وأسس، وسمات يُبنى عليها، ويُميّز بها.

واعتمدتُ على مقال آخر بعنوان "أدب الأوبئة، وتجليات كورونا في سياق نصوص الخطاب الشعري، لصاحبه" حسين دراوشة"، والذي تناول فيه قصائد حول وباء فيروس كورونا، واصفا وباء فيروس كورونا في الشعر، اخترتُ بعضها للكشف عن الموضوعات المنبثقة عن موضوع الوباء، وهو السبب نفسه الذي جعلني أعتمد المقال الموسوم ب" الطاعون في الشّعر الإسلامي والعباسي" لصاحبه" أحمد محمود عبد الحميد البياتي"، الذي جمع فيه القصائد التي تناولتُ الوباء بالوصف في العصرين الإسلامي والعبّاسي، متجاوزة الوصف والإحصاء المعتمدَين في هذه المقالات، إلى إعادة إثراء ماورد فيها من منظور المنهج الموضوعاتي.

وفي الأخير أرجو أن تشكّل هذه الدّراسة أرضيّة خصبة ينطلق منها الباحثون للانفتاح أكثر على موضوعة الوباء في الأدب.

الفصل الأول
الوباء في مختلف العلوم

الوباء في مختلف العلوم

تقديم

عاش الإنسان منذ القديم في جماعات معتمداً على الطّبيعة، وما تنتجه مواردها لضمان بقائه، وتحسين ظروف عيشة، فمارس الزّراعة والتّجارة، وانتقل في أرجاء المعمورة سعياً وراء أيسر السّبل، وأفضلها للعيش الكريم، فاحتكّ بغيره. وبسبب الممارسات اليوميّة الفوضويّة، وما ينتج عن الحروب من مجاعات وقتلى، ظهر التلوّث في مختلف الأوساط السكّانية، وبدأت الأمراض المعدية في الظهور عبر الأجيال والعصور، ففتكت الأوبئة بمجتمعات برمّتها، واتّخذت العلوم المختلفة من الوباء مادّة لها أولتها بالاهتمام والدّراسة، فورد ذكرها في التّاريخ، والدّين، والفلسفة، والنّصوص الأدبيّة، باختلاف الأجناس، والأنواع...، **فما هو الوباء؟ وكيف فسرت مختلف العلوم هذه الظّاهرة؟ وكيف تجلّت في الأدب شعرا ونثرا؟**

1) مفهوم الوباء

1.1 الوباء لغة

أورد **الخليل ابن أحمد الفراهيدي** في كتابه "**العين**" تعريف الوباء لغة فقال : "**وَبَأَ الوَبَاءُ: الوَبَاءُ مَهْمُزٌ: الطَاعُون؛ وَهُوَ أَيْضًا كُلُ مَرَض عَام، تقول: أَصَابَ أَهْلَ الكُورَة العَام وَبَاءٌ شَديدٌ**"[1].

وقال **ابن منظور**: «**وَبَأَ الوَبَأُ: الطاعون بالقصر والمدّ، والهمز، وقيل هو كلُّ مَرَضٍ عامٍّ، وفي الحديث: إنّ هذا الوَبَاءَ رِجْزٌ، وجمعُ الممدود أَوْبِئَةٌ، وجمع المقصور أَوْبَاءٌ، وقد وَبِئَتِ**

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وآخرون، مادة (وبء) المجلد8، دار الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2003، ص 418.

الْأَرْضُ تَوْبَأُ وَبَأً، ووَبُئَتْ وِبَاءً ووِبَاءَةً، وإِباءَةً على البدل، وأَوْبَأَت إِيْبَاءً ووُبِئَت تِيْبَأُ وَبَاءً، وأَرْضٌ وبِيئَةٌ، على فعيلةٍ، ووَبِيئَةٌ على فَعِلَةٍ، ومَوْبُئَةٌ: كثيرة الوَباء واسْتَوْبَأَ الأَرْضَ: اسْتَوخَمَهَا ووجَدها وَبِئَةً، والباطِل وَبِيءٌ لا تُحمَد عاقبته»[1]، يتّضح من المعنى اللّغوي أنّ الوباء مرادف للطّاعون، وهو مرض عام قاتل يصيب الإنسان، والكائنات المجهريّة، من خلال فساد الهواء الذي يستنشقه الإنسان.

2.1 اصطلاحا

يعرّف "**علاء الدين ابن النفيس**" في كتابه "**الموجز في الطبّ**" الوباء بقوله : «**ينشأ عن فساد يُعرّض لجوهر الهواء بأسباب سمائيّة، أو أرضيّة فمن الأرضيّة : الماء الآسن، والجيف الكثيرة، كما يقع في مواضع المعركة، إذا لم تُدفن القتلى، والتربة الكثيرة النَّزّ، والكثيرة التعفّن، وكثيرة الحشرات والضفادع**»[2]، أي أنّ الوباء هو فساد يظهر في الهواء، أو نتيجة تلوّث الماء، ويكون بسبب انعدام النظافة، وغيرها، ويصيب الحيوان، والإنسان، ويُفسد الأرض.

وقد ذكر "**الجاحظ** : «**أنّ العَقْعَقَ إذا أحسّ بتلك الرّيح هرب من تلك الأرض. قال: "وكذلك الفأر يهرب من تحت الأرض**»[3]، الوباء تلوّث يعمّ، ويجتاح حتى الحيوانات، والفئران والماشية، لأنّه سريع العدوى.

ويعرّف الوباء **Epidemic** في القسم الطبّي من معجم "**ميريام ويبستر**" باللّغة الإنجليزية كما يلي : «**الوباء اسم تفشّي مرض وبائي، يصيب أو يتّجه إلى إصابة عدد كبير من أفراد ساكنة، أو جماعة، أو منطقة بصفة غير عاديّة، وفي الوقت نفسه، كما يعني الأزمة الصحيّة الحادّة طويلة الأمد نسبيّا، والنّاتجة عن مرض شديد العدوى، وسريع يصاب به عدد كبير من النّاس جماعة، وينتشر في منطقة جغرافية واسعة،كأنّ الوباء مرض**

[1] ابن منظور، لسـان العرب، مادة (و ب أ)، الجزء 16،دار صـادر، بيروت، لبنان، الطبعة السـادسـة، 2008، ص141.

[2] الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بذل الماعون في فضل الطاعون، أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، الرياض، السعودية، د.ت، ص ص 100-101.

[3] المرجع نفسه، ص 101.

البيئة يصيب البيئة فيتأذى الإنسان»[1]. ومعنى ذلك أنّ وقوع الموت ناتج عن انتشار الوباء في وسط الإنسان، والماشية بالإضافة إلى انتشاره وسط الحيوانات الأخرى، وهذه الأمراض تنتشر في الهواء، وتنتقل بين الحيوان والإنسان.

وتعرّف منظّمة الصحّة العالميّة الوباء العالمي على أنّه : «**وضع يكون فيه العالم بأكمله مُعرّضا على الأرجح لهذا المرض، فتصاب نسبة من السّكان في الأرض به**»[2]، وبالتّالي الوباء مصيبة عامّة تمتد إلى كافّة أنحاء العالم، وينتشر بسرعة هائلة، ويؤدّي إلى إصابة عدد من النّاس مسببا خوفا، وقلقا، وأضرارا تشمل نواحي متعدّدة اقتصاديّة، واجتماعيّة ونفسيّة.

2) التفسير الديني للوباء

2 1 موقف الديانة اليهودية من الوباء [3]

ترتبط كلمة "وباء" في **الديانة اليهوديّة** بفكرة التأديب الإلهي، منها النص الموجود في سفر التثنية «**ولكن إن لم تسمع صوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التي أوصيك بها تأتي عليك جميع هذه اللعنات، يرسل الرب عليك اللعن، والاضطراب والزجر في كل ما تمتد إليه يدك لتعمله، حتى تهلك وتفنى سريعا من أجل سوء أفعالك إذ تركتني، يُلصق بك الرب الوباء حتى يبيدك عن الأرض**».

وجاؤوا في صفاته بأنه يصيب بالحمى فورد قولهم : «**قدامه ذهب الوبأ وعند رجليه خرجت الحمى** » وتعني لديهم هو ضرب فرعون بالوباء.

يتضح موقف الديانة اليهودية من الأوبئة والأمراض التي تصيب الإنسان، فهي ترتبط بفكرة العقاب الإلهي نتيجة عدم اتباع التوجيهات وتنفيذها.

---

[1] محمد أبطوي، دراسة الوباء وسبل التحرر منه : الأوبئة في الطب العربي وفي التاريخ الثقافي والاجتماعي، المركز العربي للأبحاث والدراسات، الظعاين، قطر، 2020 ص 03.

[2] عامر محمد نزار جلعوط، فقه الأوبئة،جامعة كاي للتعليم الإلكتروني، https://Kie.university، ص 22.

[3] فتحي محمد عطية عبد السلام، الأديان السماوية ودورها في حماية المجتمع من الأوبئة والأمراض "كورونا كوفيد 19 نموذجا"، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالديدامون، الشرقية، العدد العاشر، مصر، 1445هـ، دون طبعة، - 2023م، ص 698-699-700.

2.2 وقف الديانة المسيحية من الإصابة بالأوبئة والأمراض[1]

تضمّنت النّصوص الدينيّة في **الديانة المسيحية** فكرة التجسّد في موقفهم حول الإصابة بالأوبئة والأمراض؛ فالإصابة بها هي تجسّد شيطاني نتيجة للخطيئة، أو الذّنب الذي يرتكبه الإنسان تخفيفاً عنه، لإعطائه فرصة للتخلص من الخطيئة وغفران الذنب، ومن النصوص الدينية في هذا الشأن :

ما جاء في رسالة يوحنا الرسول الأوّلي «**إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهّرنا من كلّ إثم**». وهذا يوضح فكرة الرّبط بين الخطيئة والمرض، وعليه لزم ربط الإصابة باعتراف المريض بمرضه، والذي يخبئ مرضه سيظل مريضا بل قد يمرض أكثر، أمّا من يعترف بمرضه فالطّبيب يقدم له العلاج من المرض لكي ينتهي ويختفي تماما.

عدّ المرض عقوبة إلهية بسبب طبيعة البشر الخطّاءة، انسجاما مع التصوّر الديني القديم للأمراض والأوبئة (**Herzlich، 1994**)، فقد وقفت الكنائس موقف الصد للتشجيع على استعمال العازل الطبّي، بوصفه وسيلة وقائيّة من الدّاء، وفي المقابل عملت على الترويج لقيم العفّة، والوفاء للشّريك، وتحريم الجنس خارج إطار الزّواج (**Grunais، 1999**) فكان له أثر سلبي في برامج التوعية، والتحسيس وكلّ الجهود التي تبذلها المؤسّسات الطبيّة المهتمّة بمحاربة الدّاء، سواء بسبب شيطنة الدّاء، أوربطه بالسّلوك المنحرف، فتمّ تطوّر خطاب الكنيسة من خطاب منفّر إلى خطاب مستوعب يحمل بين ثناياه رسائل حب وإخاء للمرضى والمصابين.

بل هناك من الكنائس من بادرت إلى إصدار كتب ووثائق توضح فيها مواقفها الجديدة، ورسائلها إلى كلّ رجال الدّين التّابعين لها، فنقرأ مثلا في دليل الخدّام المسيحيين في مواجهة الدّاء ما يأتي : «**علينا أن نعلن من منابرنا أن المرض موجود بيننا، أن الله لا زال يحب، ويعتني، ويشتاق أن يسكب نعمته على المرضى، وحاملي الفيروس، أنّ العفة، والإخلاص مع شريك الحياة هما السّبيل الأضمن للوقاية من المرض، أن الله لا يعاقب بعض الخطايا أكثر مما يعاقب خطايا أخرى لكنه يدعو الجميع للتوبة، والمحبّة المقدّسة، والحياة النقيّة،**

[1] عامر محمد نزار جلعوط، فقه الأوبئة، ص 709-710.

أن علينا أن نبحث عن الضّال، ونسترد المطرود، ونجبر الكسير في النّفس والرّوح، علينا أن نصلي أن يرسل الرّب من نفتقدهم من خلاله، برسالة محبته وغفرانه ونعمته وقوته للمدمنين، والعاملات في الجنس التجاري، والرجال الذين يمارسون الجنس مع رجال».

ويؤكّد ماسبق الموقف المسيحي حول الإصابة بالأمراض والأوبئة الذي كان له الأثر الواضح في إنجاح برامج التوعية، والتحسيس، وفك العزلة عن بعض المرضى والمصابين، مما ساعدهم في العثور على استقرار نفسي، وديني أبعد عنهم شبح الأفكار المدمرة من قبيل الانتحار، أو الانتقام في زمن اجتياح وباء فيروس كورونا.

3.2. موقف الديانة الإسلامية من الاصابة بالأوبئة والأمراض[1]

يساير المفهوم الإسلامي عن المرض النظرة العلمية الحديثة، ويسبقها بعشرات القرون؛ فيعد الإسلام المرض هو قضاء الله سبحانه وتعالى وقدره، وأنّه لا علاقة له بالذّنوب والخطايا؛ بل هو يصيب الإنسان الصالح كما يصيب الشّرير، لا فارق بينهما في المرض، وأنّه لا بد من وسيلة للشّفاء يعرفها أهل الذكر، وهم هنا العلماء والأطباء، أمّا عن دور الدعاء والصّلاة فهي لرفع معنويات المريض، وتقوية عزيمته على مقاومة المرض، ولكنّها لا تُغني عن الطب والدواء. وكثيرا ما كان الصحابة يأتون إلى النّبي - صلى الله عليه وسلم - لكي يشفي مرضاهم، ففي حديث أبي هريرة كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يزور المريض، ويدعو له بالشّفاء، ثم يقول لهم: «**ادعوا له الطبيب**»، فكانوا يتعجّبون من ذلك، ويقولون له: «**وأنت تقول ذلك يا رسول الله؟**»؛ أي أنت أيضا تطلب منا استدعاء الطبيب، ولا تشفي المريض بيدك، فيقول لهم - صلى الله عليه وسلم -: «**نعم، تداووا عباد الله، فإن الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له الدواء، علمه من علم، وجهله من جهل، فإذا أصاب الدواء الدّاء برأ المريض بإذن الله**».

وكان الرّسول - صلى الله عليه وسلّم - يمرض ويزوره الأطباء؛ كأيّ بشر، ويكتبون له الإنعات؛ أي الوصفات الطبيّة، ويتناول الدّواء حسب أوامرهم، وكان الصحابة يسألونه:

[1] فتحي محمد عطية عبد السلام، الأديان السماوية ودورها في حماية المجتمع من الأوبئة والأمراض "كورونا كوفيد 19 نموذجا"، ص 718-719-720.

أتمرض مثلنا يا رسول الله؟، فيقول لهم : «**إني أوعك - أي أعاني من المرض - مثل رجلين منكم**».

ونستطيع توضيح المنهج الإسلامي في فكرة الإصابة بالأوبئة والأمراض التي تأتي على وجهين: الأول: تقع الإصابة بالأوبئة والأمراض نتيجة البعد عن الله عز وجل، والإصرار على المعصية، فإن وقع فيها الانسان فإن الله تعالى قد يعجّل له العقوبة في الدنيا قبل الآخرة، قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ** (30)﴾.سورة الشورى. وفي حديث ثوبان أنّ النبي -صلّى الله عليه وسلم- قال: «**وإنّ العبد ليُحرم من الرّزق بالذّنب يصيبه**». أي بسبب إصراره على ذنب من الذنوب قد يحرم الرّزق، والرّزق قد يكون صحّة في البدن، أو سعة في المال، أو في زوجة، أو في ولد، أو في بيت، أو في وظيفة... أو غيرها.

وهذا يدخل في **النوع الأول:** من قضاء الله تعالى، وهو القضاء المعلّق الذي في الصحف التي في أيدي الملائكة، فإنه يقال: اكتبوا رزق فلان، إن لم يعص، فهو كذا، وإن عصي فهو كذا. فقد يقع المرض بسبب ما اقترفه الإنسان على نفسه من ذنوب ومعاص، وهو الغالب على حال المؤمنين.

وقد جاء في تفسيرها أي بذنبك، وقوله -صلّى الله عليه وسلم-: «**ما احتلج عرق ولا عين إلا بذنب، وما يدفع الله عنه أكثر** ». فإنّ المرء حتى وإن كان مؤمناً بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ فلا يخلو حاله من أن يكون واقعا في الذّنوب والتقصير، وظلم نفسه بأنواع الظّلم، وإن من رحمة الله تعالى، ولطفه بعبده أن يعجّل له العقوبة في بعض الأحيان؛ فعن أنس بن مالك قال: قال صلى الله عليه وسلم: «**إذا أراد الله بعبده الخير عجّل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشّر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة**»، وعن أبي هريرة قال: قال صلى الله عليه وسلم: «**من يرد الله به خيرا يُصب منه**».

الثاني: تقع الإصابة بالأوبئة والأمراض ابتلاء من الله تعالى: لبعض المؤمنين لرفع درجاتهم وإعلاء ذكرهم ومضاعفة حسناتهم، كما يفعل الله تعالى بالأنبياء والرسل - عليهم السلام-، قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل».

فإذا أبتلي أحد من عباد الله تعالى الصالحين بشيء من الأمراض أو نحوها؛ فإن هذا يكون من جنس ابتلاء الأنبياء والرسل؛ رفعة في الدرجات وتعظيما للأجور، وكرامة لهم ينالون بها الدّرجة العالية المكتوبة لهم في الجنّة، التي لا يصلون إليها بأعمالهم، وعن اللجلاج بن حكيم السّلمي والد خالد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده**». وعن أنس بن مالك قال: قال صلى الله عليه وسلم: «**إن عِظَمَ الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله - عز وجل – إذا أَحَبَّ قوما ابتلاهم؛ فمن رَضِيَ فله الرضى، ومن سَخِطَ فله السخط**».

- فائدة تاريخيّة حول موقف الديانات من الوباء

يجدر بالذّكر توجّه النّاس -طوال تاريخهم- كلّما عصف بهم وباء ما إلى الإله لطلب الحماية والجوار، لذلك بحثت الكنائس الأوربيّة عن سبب غضب الإله الذي جعله ينزل اللعنة على عباده، وتحت تأثير رجال الدين اتفق الجميع على أنّ الوباء لن يُرفع إلاّ عندما يُستأصل غير المؤمنين بالمسيح المخلص، فانطلقت حملة إبادة عرقية عنيفة في حق اليهود خلال 1220م وكان استهداف اليهود مبرَّرا في نظر الأوربيين، فهم من نسل الأشخاص الذين يُعتقد أنهم صلبوا المسيح، كما أنهم مميزون بلباسهم الذي فُرض عليهم ابتداء منذ سنة 1215 أيام اجتياح الطّاعون الأسود العالم.

ورغم معارضة البابا "**كلمنت السّادس**" صاحب الحظوة آنذاك لهذه التصفيات التي تتم في حق اليهود الذين يتعرّضون كذلك للإصابة بالطّاعون، والموت شأنهم شأن الجميع، إلاّ أنّ المتحمّسين من المسيحيّين المدفوعين من قبل رجال الدّين الكاثوليك، واصلوا حملة الإبادة لإطفاء غضب الربّ، ففي مدينة "**ستراسبورغ**" مثلا دفن نحو 900 يهوديّا حيًّا. فكان لهذه المواكب العقابيّة التكفيرية دور أساسي في زيادة انتشار الطّاعون بسبب التجمهر.[1]

[1] Martin Luther, Table Talk, Edited by William Hazlitt, Cornell University Library (Original book), London, 1872.

ترجمة ليليا العمراوي، من ص 15 إلى ص 20.

ولم يورد الله في القرآن الكريم كلمة وباء لكنّها وردت في تفسير العلماء لسورة البقرة الآية 243 قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**﴾[1]

واجتمعت كلّ التفاسير على أنّ القوم المقصودين هم بنو إسرائيل الذين خرجوا من بلدتهم هاربين من الطّاعون، حتى نزلوا واديا فأماتهم الله جميعا فذلك قوله : ﴿ **حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ**﴾ إذ مقتهم الله على فرارهم من الموت، فأماتهم عقوبة لهم، ثم بعثهم ليستوفوا بقيّة آجالهم، وقوله : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ**﴾ يعني : تفضّل عليهم بأن أحياهم بعد موتهم.[2]

3) الوباء تاريخيّا

يُعد علم التّاريخ أحد الطرق الهامّة لاستجلاء خصائص الماضي والحاضر، لأن العلاقة بينهما جدليّة، فنلجأ إلى التّاريخ لفهم الحاضر، وإلى الحاضر لفهم الماضي، وعلى هذا الأساس لا يمكن للمؤرّخين البقاء بعيدا عن تنوير الرّأي العام، والمساهمة في النقاش حول الجوائح التي حلّت بالبشرية، والتأمّل في كيفيّة تعامل الأسلاف معها، ووصف أثرها العميق عبر الأجيال، لذلك من الجدير استحضار المعرفة التاريخيّة لارتباطها بجميع المعارف. وفيما يأتي توصيف لأشدّ الأوبئة التي عصفت بالبشريّة قبل حتى ظهور التّاريخ، وتمّ الكشف عنها من خلال المواقع الأثرية.

[1] القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، دار الغد الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، سورة البقرة، الآية 241،2005، ص 39.

[2] الطبري، تفسير الطبري تحقيق بشار عوار معروف، الجزء الأول، مؤسسة الرسالة،1، ط1، بيروت، سوريا، 1994، ص 34.

الوباء	التّاريخ	المكان	التوصيف
1) **وباء غير مشخّص**	3000 قبل الميلاد	اسم الموقع الأثري الآن "هامين مانغا" Hamin mangha	تشير الدّراسة الأثريّة إلى أنّ الوباء حدث بسرعة بحيث لم يكن هناك وقت للدّفن[1].
2)**طاعون أثينا**	430 قبل الميلاد	أثينا	ظهر في أثيوبيا وانتقل إلى مصر ثمّ إلى ليبيا، قبل امتداده لبلاد البحر الأبيض المتوسط، في ذلك الوقت كانت أثينا وإسبرطا في حالة حرب ودخل المرض أثينا من خلال الميناء الذي كان مفتوحاً للاستيراد. الكثافة السكانيّة العالية إضافة إلى ممارسات الصحّة السيئة سهّلت انتشاره في المدينة، ونتج عنه مقتل ثلث أو ربع سكانها مما سهّل انتصار إسبرطا في الحرب[2].
3)**الطاعون الأنطوني**	165-180م	الإمبراطوريّة الرومانية	ظهر في بلاد ما بين النهرين (العراق وسوريا وتركيا) وانتشر بسرعة عن طريق التحرّكات العسكريّة للإمبراطوريّة الرومانيّة، وهناك ضرب سكّانها بقوة، واستمر امتداده، ونتج عنه مقتل مليون

[1] رقية عنتر أسّو : الأوبئة في التاريخ، مجلة العين، أبو ظبي، على الموقع Al-ain.com

[2] الموقع نفسه.

			إنسانا حول العالم من إجمالي تعداد السّكان العالمي المقدّر بـ 200-250 مليون نسمة[1].
4)**الطاعون القبرصي**	250-271م	جزيرة قبرص	ظهر في قبرص وامتدّ لكل الإمبراطورية الرومانيّة، واليونان، ومصر، وسوريا، وبلاد الرّافدين، تسبّب في نقص كبير في القوى العالميّة (لإنتاج الغذاء)، والجيش الروماني ممّا أضعف الإمبراطوريّة بشدّة، حيث كان يحصد 5000 شخصاً يوميا في روما وحدها، لذلك وصفه القديس سيبريان بأنّه إشارة إلى نهاية العالم[2].
5)**طاعون جستنيان**	541-542م	الإمبراطوريّة البيزنطيّة	سميّ باسم الإمبراطور البيزنطيّ "جيستنيان" الذي أصابه المرض وشُفي منه، وسببه بكتيريا تصيب القوارض تنتقل إلى الإنسان عن طريق البراغيث التي تحملها الفئران، من أعراضه التهاب وتورّم الغدد اللمفاويّة، وتحث الإبطين وأعلى الفخذ والرقبة، بالإضافة إلى الغرغرينة في أي طرف من أطراف الجسم، ونصف الذين أصابهم الوباء

[1] الموقع نفسه.

[2] فتحي المسكني: من معارك الجماعة إلى حروب المناعة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، العدد43، 2015، ص823. https://www.healty.gov

			ماتوا في أيّام قليلة في ظل غياب المضادات الحيويّة. وفد إلى الإمبراطورية البيزنطيّة من آسيا الوسطى عن طريق التجارة وتأثرت به عاصمتها القسطنطينية بشدّة، وعن طريق التجارة أيضا انتشر إلى جميع أنحاء حوض البحر الأبيض المتوسط، وتسبّب في مقتل من 30-100 مليون إنسانا؛ أي أكثر من ثلث سكان العالم آنذاك. هذا الوباء غيّر مجرى التاريخ لأنّه أضعف الإمبراطوريّة البيزنطيّة، وأوقف توسّعاتها في الغرب بالإضافة إلى ضعف الإمبراطوريّة الفارسيّة الثانية، التي دخلت في حرب مع بيزنطا وانهارت تماما، وصادف هذا بدء العرب غزواتهم في الجنوب لنشر الإسلام[1].
6)**الموت الأسود (الطّاعون)**	1346-1353م	طرق الحرير (طرق التوابل)	هو طريق رابط بين آسيا وأوربا للتجارة برّا وبحراً، تبادل عبرها النّاس من كل أصقاع العالم الحرير، والكثير من السلع خاصة التوابل، حتى أنّ اسمها الشائع هو (طرق التوابل)، ظهر فيها الطّاعون الأسود الذي تسبّبه البكتيريا نفسها، أي التي تسببت في طاعون جيستنيان ثمّ

[1] أحمد شراك : تاريخ الحجر، جريدة المساء، العدد2020،4170، ص 09.

			اجتاح أوربا حوالي 5 سنوات في ق14،ثمّ انتقل إلى آسيا الوسطى (أوكرانيا الحالية)، ويعدّ أكثر الأوبئة تدميرا في تاريخ البشريّة، بعد فشل حصار الطّاعون في أوكرانيا، وانتقال تجّار جنوة إلى صقلية، فاجتاح معظم العالم، ولم تسلم منه إلاّ بولندا والمجر، وقتل من 100-200 مليون شخصاً في أوربا وحدها يعني نصف سكان القارة، واحتاجت أوربا لـ 200 سنة لاستعادة عدد السّكان الأصلي قبل الجائحة، وتمّ تطبيق الحجر الصّحي، ففي ميناء البندقيّة تمّ إجبار السّفن على البقاء أربعين يوما قبل الدّخول للميناء للتأكد من عدم وجود المرض، ولمنع تفشّيه إذا وُجِد[1].
7)**وباء الكوكوليتلي**	1545-1548م	المكسيك	ظهر في المكسيك وأمريكا الوسطى، سببه شكل من أشكال الحمّى النّزيفية الفيروسيّة التي قتلت 15 مليون نسمة. وظهرت دراسة حديثة فحصت الحمض النووي لبعض الهياكل العظميّة للضّحايا وجدت أنّهم أُصيبو بنوع فرعي من السالمونيلا المعروفة باسم S.partatynhic التي تسبب الحمّى

[1] روبرت ج: الموت الأسود جائحة طبيعية وبشرية في عالم العصور الوسطى، ترجمة: عبد القادر كحيلة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2017، ص 35.

			المعويّة، وهي فئة من الحمّى التي تشمل التيفويد[1].
8)**الأوبئة الأمريكيّة**	ق 16	أمريكا	وظهرت بعد اكتشاف كريستوف كولومبس للقارة الأمريكيّة، ورحلة "فاسكو ديغاما" إلى الهند حيث زاد لقاء الشّعوب وتقاربهم، وانتقلت بواسطة الوافدين إلى أمريكا الكثير من الأمراض التي فتكت بالسّكان الأصليّين، حيث حصدت 90% منهم في ظرف مئة وخمسين 150 سنة من وصول الأوربيين للقارة الأمريكيّة، إضافة لمصرع واختفاء شعوب كاملة من السّكان الأصليّين في بعض الجزر. إلّا أن تعاقب الأوبئة على الشعوب الأوربيّة أكسبها نوعاً من الحصانة، وأشهر هذه الأوبئة: الجذري، الحصبة، الإنفلونزا، المالاريا، الزهري[2].
9)**طاعون لندن العظيم**	1665-1666م	لندن	ويعدّ الموجة الثانية للطّاعون الأسود وجيستينيان، ظهر في بريطانيا وانتشر بسرعة خلال أشهر الصيف بالطريقة نفسها، أي البراغيث المنتشرة على

[1] فابري استريد: الإنسان والفيروسات، ترجمة: الهادي الإدريسي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة "مشروع كلمة"،الإمارات، 2012، عبر الموقع الالكتروني: BBC.arabik.

[2] فابري ا ستريد: الإ نسان والفيرو سات، ترجمة زاهي فريد، هيئة أبي ظبي للثقافة، أبو ظبي، الطبعة 1، 2012، ص 20.

			القوارض المصابة بالمرض، وقضى على مئة ألف 100000 شخصا بما يعادل 15% من سكان لندن[1].
10)**طاعون مرسيليا**	-1720 1723م	مدينة مرسيليا بفرنسا	أسباب ظهوره نفسها (البراغيث والقوارض)، وطريقة انتشاره كذلك التجارة عندما وفدت سفينة (Grand-Saint-Antoine) إلى مرسيليا بفرنسا، تحمل شحنة من البضائع من شرق البحر المتوسط، قضى خلال 3 سنوات على مئة ألف ومئة 100100 شخصا، أي ما يعادل 30% من سكان مرسيليا[2].
11)**الطاعون الروسي**	-1770 1772م	مدينة بروسيا	ظهر في مطلع السبعينات في روسيا بسبب حركة تنقل الجيش، حيث كانت مدينة موسكو مسرحاً لمعارك ضارية بين الرّوس والأتراك، وبلغت شدّة الوباء ذروتها في 1771 بمعدل وفاة ألف شخص يوميا في ظل تجاهل قواعد الصّحة والوقاية، فانتشرت الجثث في الشّوارع، وداخل المنازل لتتعفن أكثر مشكّلة أوساطا مهيّئة بالكامل لتفشّي الوباء أكثر، ولغياب المتطوّعين أجبرت السّلطات

[1] خالد بشير: أخطر الأوبئة عبر التاريخ، حفريات، 2018، عبر الموقع https://www.rafryat.com.

[2] أولد ستون مايكل: الفيروسات والأوبئة، مطبعة اكسفورد، لندن، إنجلترا، مترجمة من قِبل مؤلف مجهول عبر الموقع https://www.rafryat.com، 2017، ص 102.

			المحليّة السجناء على حمل الجثث ودفنها، ففارق بسبب ذلك العديد منهم الحياة بعد انتقال العدوى إليهم، وخوفاً من اندلاع أعمال عنف، أو هجمات انتقاميّة يقودها الأهالي، فرّ حاكم المدينة ومساعدوه، وفي خضمّ هذه الفوضى انتشرت إشاعة عن وجود لوحة مقدّسة ذات قدرات عجيبة تحمي النّاس من الطاعون، فتهافت حولها سكّان المدينة لتقبيلها، ممّا أشاع الفوضى أكثر، وأدّى التجمهر إلى خلق بيئة ملائمة لتزايد تفشّي الوباء، الأمر الذي اضطر رئيس أساقفة موسكو أمبروز Ambrose إلى خلع اللّوحة، وإخفائها مثيرا بذلك غضب النّاس، فتوعّدوه، ونالوا منه بقتله وسحله في الشّوارع، ولم تتفرّق الجماهير إلا بتدخّل عسكري أودى بحياة 100مئة شخص في لحظات، وتمّ إلقاء القبض على ثلاثة مئة 300 مئة شخص آخرين، وتدخلت الإمبراطورة "كاترين"، فأرسلت بعثة وفّرت الطّعام ومستلزمات الحياة، وبالتالي تمّ إنهاء حالة الغضب التي سببتها إجراءات العزل والحجر الصحّي[1].

[1] طه عبد الناصر رمضـــان: أســـوأ فترة عاشـــتها روســـيا، مجلة العربية، بتاريخ27 أفريل 2020، على الموقع: Alarabya.net.

12)**وباء الحمّى الصّفراء**	1793م	فيلادلفيا عاصمة الولايات المتّحدة الأمريكيّة	في صيف 1793 أصاب النّاس حمّى شديدة، واصفرار واضح في البشرة، وآلام حادّة في المعدة، وقيء مشوب بدم أسود قال عنه وزير الخارجيّة "توماس جيفرسون" أنّه لا يشبه أيّ شيء يعرفه أو يقرأ عنه الأطباء، وأودى بحياة 5000 شخص، ومع تزايد الموتى فرّ السّكان الأغنياء بأعداد كبيرة ليتم تجنيد السّود للمساعدة في رعاية المرضى، ظهر المرض نتيجة وفود اللّاجئين إل المدينة في حين أقرّ الأطباء أنّه وليد الظّروف الصحيّة السيّئة والهواء الملوّث، لذلك غطّى السّكان وجوههم بالمناديل مغموسة في الخلّ على اعتقاد أنّها تمنع تسرّب الهواء الملوّث إليهم، إلى جانب التّباعد الاجتماعي؛ لأنّ الأطباء لم يتوصّلوا أنذاك لمعرفة سبب انتقاله وهو البعوض إلا بعد اختفاء الوباء بسنوات[1].
13)**الكوليرا**	1817-1823	الهند (مدينة جسبور)	وينتج عن تناول طعام أو ماء ملوثين بجراثيم معيّنة، لذلك تمكّن من إلحاق الضّرر بالأغلبيّة السّاحقة في البلدان التي تعاني من التوزيع غير العادل للثّروة، وتفتقر إلى التّنمية الاجتماعيّة، وعليه

[1] بنت جميل: الأثرياء يفرون من المدينة والسود يهتمون بمرضى الوباء 1793، مجلة اليوم السابع، 2020، على الموقع: m.youm7.com.

			تستمر الكوليرا في تغيير العالم من خلال إلحاق الضرر بالمناطق الفقيرة فتصيب سنويا 13 و4 ملايين شخص، في حين لا تؤثر بشكل كبير على المناطق الغنيّة. من مؤثّراتها في الجسم: إفراغه من السّوائل من خلال الإسهال، والقيء الشّديد، وإذا قاوم الجسم أكثر من ستة أيّام فاحتمال التعافي والبقاء على قيد الحياة وارد، في حين تكون المعركة بين الجسم، والكوليرا في الستة أيّام الأولى التي قلّ من يتجاوز هذه المدّة وهو على قيد الحياة[1].
14)**جائحة الأنفلونزا**	1889-1890	روسيا	انتشرت من روسيا نحو كل دول العالم وأودت بحياة مليون شخصا، سببها فيروس حيواني انتقل للإنسان عن طريق مخالطة الحيوانات، وبلغت أشدّها في إسبانيا عام 1918-9020 فأودت بحياة 500 مئة مليون شخص من البحار إلى القطب الشّمالي، وكانت موجتها التّالية في آسيا في 1957-1958، كان سببها في موجاتها الثلاث مخالطة الطّيور لتعود في الظّهور سنة 2009-2010 متشكّلة من سلالة جديدة في المكسيك وهي H1N1، وسببها كذلك حيواني لكن ليس الطيور

[1] UNICEFCholera toolkit 2013 : https://www.unicef.org/cholera/cholera-toolkit-2012.pdf

			بل الخنازير، سميت بأنفلونزا الخنازير، وانتشرت إلى كلّ دول العالم وأودت بحياة 575400 شخص[1].
15)**وباء إيبولا**	2014-2016	غرب إفريقيا (غينيا)	وهو من الأمراض الخطيرة والمميتة من علاماته الحمى، والنزيف داخل وخارج الجسم، فيضر بالجهاز المناعي والأعضاء، يصيب الإنسان والحيوان كالقردة بأنواعها، بدأ في غرب إفريقيا وحصد 40% من ضحاياه، ينتقل عبر السّوائل من جسم مصاب إلى جسم مُعافى، وتشمل السوائل: الدموع، والقيء، والعرق، والبول، والإفرازات المهبلية، والدّم... ويرجّح أنّ سبب نشأته فيروس في الخفافيش. يؤدي الإبكار في إحاطة الفرد بالرعاية إلى تعزيز حظة في البقاء على قيد الحياة، ولا يوجد حتى الآن علاج مُرخّص، ومجرّب ضدّ هذا الوباء ماعدا بعض اللّقاحات النافعة نسبياً في الوقاية، وأدوية لعلاج جهاز المناعة[2].

[1] م.م: معلومات بسيطة حول وباء الانفلونزا، على الموقع الالكتروني : https://www.cdc.gv/h1n1flu/qa.htm

[2] Ebola virus disease : transmission.centrs for disease.1control and prevention. https://www.cdc.gov/vhf/ebola/transmission/indesc.html.said=cs3923.accessed jan.25.2016.

16)**فيروس السارس**	2002	جنوب الصين (مدينة فرشان بمقاطعة غوانجدونغ) ثم إلى العالم	أثار موجة رعب عالمية منذ ظهوره في نوفمبر 2002، ووصفته منظمة الصّحة بالتّهديد العالمي، ويُسمّى أيضا بـ"وباء الالتهاب الرئوي"، و"وباء المتلازمة التنفسيّة الحادّة"، تمّ احتواؤه في 2003 بعد إصابته 8 آلاف و96 شخصاً لقي منهم 774 شخصاً حتفهم منهم 350 في الصين[1].
17)**وباء فيروس كورونا**	2019	الصين (مدينة ووهان)	وهو فيروس مستجد ظهر دون تفسير علمي قاطع في مدينة ووهان بين من يرى أنّه بسبب فيروس يأتي من الخفافيش، وبين من يرى أنّه مفتعل تمّ تصنيعه في مختبرات، وذلك لتطوير فيروس الأنفلونزا خاصّة وأنّ أعراضهما تتشابه، كالحمّى الشديدة، والسعال، والالتهاب الرئوي. بلغت نسبة الوفيات جرّاءه 3.4% من سكان العالم، لكنّه مقارنة بالأوبئة السّابقة يعد أقلّ فتكاً[2].

[1] حميدة محمد: تاريخ الوباء من الطاعون الأسـود إلى كورونا، مجلة الباحث للدراسـات والأبحاث، العدد17، المغرب، 2020، عبر الموقع الالكتروني: www.justicomaroc.com

[2] الحاكمي عبد المغني : وباء كورونا وجديته الاستثمار والاندحار من منظور تاريخي، مجلة الباحث للدراسات والأبحاث، العدد17، المغرب، 2020، عبر الموقع الالكتروني: www.justicomaroc.com

1.3 الأوبئة عبر التّاريخ الإسلامي

عانى المسلمون من الجوائح والأوبئة الكثيرة، وسجّل تاريخهم أحداثها، ووقائعها، وآثارها، ولعلّ أكثرها فتكا كان الطّاعون الذي انتشر أكثر من مرّة في مصر، والشّام، والمغرب، والعراق، والأندلس، وقتل ألوفا من سكّانها.

وقدّم المؤرّخون الذين عاصروا تلك الأحداث صورا متنوّعة عن تلك الأوبئة، وآثارها، وعواقبها في سائر أرجاء الأرض نظرا لما خلّفته، وعلى صعيد كل المجالات كما هو موضّح في الجدول الآتي :

الوباء	التاريخ	المكان	التوصيف
1)**طاعون عمواس**	18هـ-693م	عمواس (بلدة صغيرة بين القدس والرّملة)	حدث في زمن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه-، نُسب إلى عمواس لأنّه بدأ فيها، وانتشر منها في الشّام نتيجة المعارك الطّاحنة بين المسلمين والرّوم، وكثرة القتلى، وتعفّن الجوّ وفساده، واشتدّ وقعه بالشّام، فهلك به خلق كثير منهم أبو عبيدة بن الجرّاح الذي كان أميرا على النّاس، حيث روى الطبري في تاريخه أنّه لمّا اشتعل الوجع بأبي عبيدة قام خطيبا في النّاس فقال: أيّها الناس إن هذا الوجع رحمة بكم، ودعوة نبيّكم محمد -صلى الله عليه وسلّم- وموت الصالحين قبلكم، وإنّ أبا عبيدة يسأل الله أن يقسّم له منه حظا، فطُعن (أصيب بالطاعون)، فمات واستخلفه معاذ بن جبل، فقام خطيبا بعده ودعا بمثل ما دعا به أبو عبيدة الجراح، فأصيب ابنه عبد الرحمان، ثم معاذ، ومات الاثنان، فخلفهما عمرو بن العاص، فقام خطيبا في النّاس قائلا: "أيّها النّاس إنّ هذا الوجع إذا وقع فإنّما وقع يشتعل اشتعال النّار فتجبّلوا منه، أي "ادخلوا الجبال"، ولمّا بلغ عمر

			بن الخطاب ذلك من رأي عمرو بن العاص، لم يعارضه، ولم يدخل الشّام لأنّه سمع من الرسول صلى الله عليه وسلّم قوله عن الطّاعون: "إذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه"، ويعد هذا الحديث لفتة إنجازية تسجّل في الطب النبوي لما فيه من سياسة؛ لأنّه سنّ قانون الحجر الصحّي، والأخذ بأسباب الوقاية بالابتعاد عن مصادره، وأماكن استفحاله، وفعلا رُفع الله طاعون عمواس في عهدة عمرو بن العاص بعد حصده لخمسة وعشرون ألفا[1].
2)**الطاعون الجارف**	69هـ-688م	البصرة	حدث في زمن عبد الله بن الزبير –رضي الله عنه-، وسميّ بالجارف لكثرة من مات فيه، فقد اجترف الناس اجترافا كالسّيل، واستمر ثلاثة أيّام فقط، وحصد في أول يوم سبعين ألفا، وفي الثاني واحد وسبعين ألفا، وفي اليوم الثالث ثلاثة وسبعين ألفا، وأصبح النّاس موتى في اليوم الرّابع، ولم يلتحق بهم إلاّ قليل. وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: عن رجل يُكَنّى أبا النفيد، وكان قد أدرك هذا الطاعون فقال: كنّا نطوف بالقبائل، وندفن الموتى، فلمّا كثروا، لم نقو على الدّفن، فكنّا ندخل الدّار وقد مات أهلها فنسدّ بابها عليهم[2].

[1] محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1407، ص 509-510-511.

[2] أبو الفداء الحافظ ابن كثير: البداية والنهاية، الجزء الثامن، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، د.ط، 1413هـ-1992م، ص 288.

3)**طاعون الفتيات**	87هـ-705م	العراق وبلاد الشام	سميّ بطاعون الفتيات لأنّه وقع بالنّساء والعذارى أوّلاً، فوقع بالنّساء قبل الرّجال، بينما سمّاه البعض بطاعون الأشراف لكثرة من توفي فيه من أشراف القوم وأكابرهم، واشتد وامتد إلى الأقطار المجاورة، قال عنه الطبري: «مات فيه خلق كبير إلى أن فقد النّاس ما يكفّنون به الموتى فكُفّنوا بالأكسية، ثم صاروا إلى أن لم يجدوا من يدفن الموتى، فكانوا يتركونهم مطروحين في الطرق»[1].
4) **طاعون مسلم بن قتيبة**	131هـ-748م	البصرة	وهو آخر طاعون حدث في العصر الأموي، سُمّي باسم أوّل من مات به، واستمرّ ثلاثة أشهر، واشتدّ في رمضان حيث كان يحصي في بعض الأيّام ألف جنازة أو تزيد (حصد ألف 1000 شخص في يوم واحد)، كان من عوامل سقوط الدولة الأمويّة في ق2هـ حيث أحسن العبّاسيون اختيار الوقت لإعلان انتفاضتهم [2].
5)**طاعون بغداد**	656هـ-1258م	بغداد	عندما اجتاح المغول بغداد ودمّروها تعطلت المساجد، والجماعات، والجُمعات مدّة شهور ببغداد.. ولمّا انقضى الأمر المقدّر، وانقضت الأربعون يوما بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلاّ الطرقات، وقد سقط عليهم المطر فتغيّرت صورهم، وأنتنت

[1] محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم للملوك، الجزء الخامس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1405، ص 636.

[2] عامر محمد نزار جلعوط: فقه الأوبئة، شركة الأدهم للصرافة، 2020، ص 26. i.comwww.kantakj

			من جيفهم البلد، وتغيّر الهواء فحصل بسببه الوباء الشّديد حتى تعدّى وسرى في الهواء إلى بلاد الشّام، فمات خلق كثير من تغيّر الجوّ، وفساد الرّيح، فاجتمع على النّاس الغلاء، والوباء، والفناء، والطّاعون[1].
6)طاعون الأعظم	748هـ-1347م	الشام	ظهر في العصر المملوكي في بلاد الشام واجتاح معظم مناطقها، وسُمّي بالأعظم لسعة انتشاره، وشدّة فتكه، فأفنى تقريبا سكّان مدن حلب، ودمشق، والقدس، والسواحل[2]. ويصف ابن حجر العسقلاني الأمراض الوبائيّة السّابقة مقارنة بهذا الطّاعون فيقول بأنّها قطرة في بحر، أو نقطة في دائرة، أمّا ابن الوردي ولهول الكارثة فيعدّه الموت الذي أنذر به النبي صلى الله عليه وسلّم، لذلك ويعدّه بحق علامة فاصلة في تاريخ الطواعين[3].
7)طاعون بلاد المغرب والأندلس	بدءا من 571هـ	المغرب والأندلس	أوّل ظهور للطّاعون في بلاد المغرب كان في 571هـ، وامتدّ إلى الأندلس، ويُعدّ أهم طاعون حدث في بلاد الموحّدين، لما أحرزه من نتائج كارثيّة، حتى أنّ أربعة أمراء من إخوة الخليفة يوسف بن يعقوب ماتوا فيه، بينما كان يموت

[1] أبو الفداء الحافظ ابن كثير: البداية والنهاية، الجزء13، مكتبة المعارف، بيروت،لبنان، دون طبعة، 1995، ص 203.

[2] ابن خاتمة الأنصاري: تحصيل غرض القاصد، منشورة ضمن ثلاث رسائل، تحقيق محمد حسن، المجتمع التونسي للفنون والعلوم والآداب، بيت الحكمة تونس دون طبعة، 2013، ص 126.

[3] بلقاسم الطابي: الموت بمصر والشام في العهد المملوكي، مخطوط رسالة دكتوراه، جامعة تونس الأول، كلية العلوم الإنسانية، لسنة 1996-1997، ص 46.

			بسببه ما بين 100 و190 من عامة النّاس، وتلاه ظهور طاعون آخر في 1798، انتقل بالعدوى من التجّار الذين حملوه معهم من الإسكندرية إلى تونس، فالجزائر، فالمغرب، وقد تفشّى في فاس، ومكناس، ووصل إلى الرّباط، فكان يخلّف 130 ضحية في اليوم. كما أورد ابن عذاري المراكشي في سياق التأريخ لحوادث الأوبئة في الأندلس في أواخر ق5ه/11م، عام 498ه/1105م انتشار القحط في بلاد الأندلس، حتى أيقن النّاس بالهلاك وكانت كارثة القحط بمثابة الشّرارة المهدّدة لسلسلة الكوارث الطبيعيّة المتلاحقة، فكلّ اضطراب مناخي يؤدي إلى ظروف معيشيّة، ونفسيّة، وصحيّة، صعبة لذلك أصيبت المغرب والأندلس بسلسلة من القحوط، والمجاعات أدّت إلى ظهور الأوبئة التي استفحلت أكثر بسبب الموجات العسكريّة بين العدوّتين المغرب والأندلس[1].

أستنتج بعد هذه اللّمحة التّاريخيّة، أنّ كلّ الحضارات على مرّ التّاريخ عرفت الأوبئة المميتة المدمّرة بمقاييس غير عاديّة، ورغم تنوّع الأوبئة يبقى الطّاعون بطل الأوبئة في القرون الأولى منذ التأريخ للوباء، وأسهم في استفحالها جميعا الحركة النشيطة للإنسان براً، وبحراً لممارسة التجارة، دون إغفال ما تسببه الحروب من قتلى وتعفّن في الجثث، تؤدّي إلى تلوث المحيطات والأوساط.

[1] محمد الكرادي: مقال بعنوان الجوائح والأوبئة في المغرب ما قبل الحماية، مؤتمر بعنوان المجاعات والأوبئة في الوطن العربي، المركز متعدد التخ ص صات للبحث في ح سن الأداء والتنافـ سية، جامعة محمد الخامس، المغرب، 2021، ص 24.

وتعدّ سياسة الحجر الصحي بالعزل والانعزال تقليدا مبثوثا انتهجته الحكومات منذ القديم للتخفيف من حدّة الانتشار، وكذلك من أجل الوقاية، لكنّ هذا الإجراء ظلّ محموداً نسبياً فقط أمام قوّة الأوبئة وشدّة فتكها.

4) الوباء علميّا (علم الوبائيّات) Enidemiology

شكّلت الأوبئة موضوعاً مهمّا في العلوم الطبيعيّة، فظهر علم الوباء، أو الوبائيّات Epidemiology، Epi : ما فوق/ Demos : الناس/ ology : علم.

ويعرّفه **"أحمد منديل"** بقوله : «**هو العلم الذي يتعامل مع ما يحدث للبشر، وما يسقط فوق رؤوسهم، وهو الجسر ما بين الطب الحيوي، والعلوم الاجتماعيّة، والعلوم السلوكيّة**»[1].

و يعرّفه **كيولر لها** kuller laha في الجريدة الأمريكية لعلم الوبائيّات بقوله: «**هو دراسة الوباء وطرق الوقاية منه**»[2].

ويقدم **"هيكويل بورتا"** huckwell-porta - تعريفا آخر بقوله : «**علم الأوبئة هو دراسة وقوع وتوزيع الأحداث، أو الحالات المرتبطة بالصّحة في مجتمعات سكّانيّة بعينها، ويشمل ذلك دراسة المحدّدات المؤثّرة على تلك المعرفة في السيطرة على المشكلات الصحيّة**»[3]، وتجتمع هذه التعاريف في كون «**الجانب السكّاني يعدّ السّمة المميّزة لعلم الأوبئة**»[4].

---

[1] أحمد منديل (أســـتاذ علم الوبائيّات)، محاضرة بعنوان: نظرة عامة في علم الوباء، المعهد العالي للصـــحة، جامعة إسكندرية،مصر، ص 5 Slidephayer.com.

[2] المرجع نفسه، ص 6.

[3] رود ولفو ســاراتشي: علم الأوبئة، ترجمة : أســامة فاروق حســن، مؤســســة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2015، ص20.

[4] ويضم المجال الرئيسي لعلم الأوبئة جميع جوانب الصّحة عند دراستها على مستوى المجتمعات السكانيّة - وهو لا يعطي فحســب وصـف كيفية حدوث الأمراض، والحالات المتّصـلة بالصّـحة بوجه عام- داخل المجتمع ويجعل هذا المنظور الواسع علم الأوبئة من علوم الطبّ الحيوي، والعلوم الاجتماعية في آن واحد "ويؤدي علم الأوبئة وظائفا تشخيصيّة لصحّة المجتمع كالتي يؤدّيها الطبيب للفرد"4، وبالتّالي هو علم مهمّ لصحّة المجتمع وسلامته. ولهذا العلم خمسة مجالات رئيسيّة : [4]

ويستفيد علم الوبائيّات من التجمع الغني للثّقافة، والممارسة العلميّة، وبالتالي فإنّه «**يتمتع بمعالجة المواضيع بالاستعانة بعلوم متنوّعة الأصول**»[1].

وساعد علم الوبائيّات في تحرير ممارسات الصّحة العامّة، والطب من التفكير العقائدي الذي ساد قديماً؛ لأنّه علم مبن على المعلومات.

وقد تطوّر من مرحلة الوصف والملاحظة إلى مرحلة التطبيق، والتجريب فقد تمّ اكتشاف بعض الأدوية، واللقاحات التي تعايشت مع الأوبئة على مرّ العصور و لو نسبياً، لكن التطوّر الهائل الذي أحرزته البشريّة في كل المجالات خاصّة المجال العلمي والتكنولوجي، جعلت الإنسان يطمئن للعلم، ويظن أنّ السّيطرة على الأوبئة ممكنة جداً إذا ما اجتاح الإنسانيّة وباءٌ جديد، لكن الانتشار السريع، والكبير للأوبئة ومنها فيروس كورونا المستجد أعاد التشكيك في هذه المُسلّمة، وبيّن أنّها وَهْمٌ تأتّى نتيجة الاعتداد المبالغ فيه بالعلم: «**فمنذ إعلان منطقة الصحّة العالميّة وباء فيروس كورونا سارعت مختلف**

- علم الأوبئة الوصفي: ويصف الصّحة، والمرض، واتّجاهات كل منها، مع مرور الوقت لدى مجتمعات بعينها.
- علم الأوبئة السّـببي: ويبحث عن العوامل الخطيرة، أو النّافعة للصّـحة، أو الوقاية كالملوّثات، الماء، التغذية.
- علم الأوبئة التقييمي: ويقيّم آثار التدخّلات الوقائيّة، والعلاجيّة ومدى نفعها.
- علم أوبئة الخدمات الصحيّة: ويصف، ويحلّل عمل الخدمات الصحيّة.
- علم الأوبئة الإكلينيكي : ويصف المسار الطبيعي لمرض ما في مجتمع من المرضى، ويعتمد علم الأوبئة على مجموعة من العمليّات الحسابيّة أهمّها :

عدد المصابين بالمرض

نسبة الانتشار= ----------

عدد أفراد المجتمع السكاني

عدد الأفراد الذين أصيبوا بالمرض أثناء ملاحظتهم

معدل الخطر=----------

إجمالي فترات الملاحظة الفردية لجميع الأفراد

[1] أحمد منديل : (أستاذ علم الوبائيّات)، محاضرة بعنوان: نظرة عامة في علم الوباء، ص4.

الدول لإقرار حالة الطوارئ الصحيّة، وحظر التجوّل والسّفر، وإقفال المجتمعات الكبرى، كالمدارس، والمساجد، والكنائس... ولم تُجْدِ هذه الإجراءات نفعاً، ولم يتعد دورها الاحتراز من الوباء الذي ظلّ يتراجع حينا، فيعود المجتمع لمزاولة نشاطه، ويتزايد حينا آخر فتُشلّ حركة المجتمع من جديد، وتمّ ذلك لحدّ الآن في أربع موجات قابلة للزيادة دون تفسير منطقي أو علمي»[1]، ليؤكد الوباء على سلطانه وهيبته أمام العلم والطب.

5) الوباء في الفلسفة

اهتم الفلاسفة بالوباء لاهتمامهم بالوجود الإنساني؛ لأنّ الأوبئة تهدّد هذا الوجود فالتفت "**هانس جونس**" hans-jonas إلى دراستها كونها كوارثا تهدّد الإنسانيّة، وتمكّن من طرح الإشكال الذي يشغله حول نسبة تدخل الإنسان بتعسفاته تجاه الطبيعة في تشكيل الوباء، وهي الفكرة ذاتها التي طرحها "**هابرماس**" jurgen habermas في مجال الفلسفة الأخلاقيّة، ودور الإنسان في الطبيعة.

وتقدّم الفلسفة دلالة ميتافيزيقيّة للوباء، فإذا كان «**مرئيّاً من خلال علاماته المحسوسة، فهو بالدّرجة الأولى كذلك لا مرئي، كونه متشكلا أساسًا من فيروسات مجهريّة لا تُرى بالعين المجرّدة، كذلك تجاوزت الأوبئة عبر العصور التفسيرات المنطقيّة التي يقرّ بها العلم**»[2]، فلا مبرّر لظهور الأوبئة، أو زوالها لذلك هي ميتافيزيقية، وعلاقتها بالمرئي لا يتجاوز العلامات الدّالة على وجودها.

وتلعب الفلسفة دورا في الوعي الصحّي لأنّ مجالها هو وعي الإنسان بوجوده انطلاقًا من قول **هيغل**Georg Wilhelm Friedrich Hegel «**الوعي هو دائما وعي بشيء ما**»[3]، وبالتالي وعي الإنسان بخطورة الوباء، وماهيته، وأثره. ويربط **نيتشة** Friedrich Nietzsche الوعي بالأوبئة، بالإرادة، والقوة، فيميّز بين نوعين من الأوبئة: الوباء كغاية،

[1] آلان بوســـون : مقـال بعنوان كيف تغيرت الأوبئـة على مرّ العصـــور وكيف اختفـت، عبر الموقع SWI swissinfoch التابع لهيئة الإذاعة والتلفزيون السويسرية سنة 2024.

[2] شعوفي قويدر : الفلسفة والأوبئة، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد7، العدد02، بشار، الجزائر، 2021، ص 478-479.

[3] المرجع نفسه، ص 481.

والوباء كوسيلة. أمّا الوباء كغاية، فلا يمكن أن يعالَج لأنّه لا يمتلك الوسيلة، فهو في حال أخلاق الضعفاء الذين يجب استئصالهم من المجتمع، أمّا بوصف الوباء وسيلة فإنّه يضاعف إرادة القوة، والسّيطرة، ولا يمكن أن يكون عنوانا لهشاشة الفلسفة في مواجهة الوباء ودراسته، لأنّ قلق الفلسفة عند ظهور الوباء يدفعهم إلى التساؤل، والصمت عند الفيلسوف، هو حالة قطيعة إبستيمولوجية معرفيّة بحيث عبّر عنها "نيتشة" بقوله: «**إنّ المرض يجرّد الرّوح من كبريائها ويحوّلها إلى كائن ينتظر، ففي كل مرة يجتاح فيها الوباء البشريّة تُلهَم الفلسفة، فيطرح الفلاسفة الأسئلة التي تنطلق منها كلّ العلوم**»[1]، ومواقف الفلاسفة إزاء الوباء تفسّر حرص الفلسفة على إيجاد الحلول، وريثما يتم ذلك يبحث في سبل التعايش، ويُقصد بالانتظار هنا التساؤل، وطرح الإشكالات.

ويمكننا تقديم أمثلة عن مثل تساؤلات الفلاسفة: «**ما الوجود؟ ما الطبيعة؟ ما الإنسان؟ ما الفضيلة؟ ما الدولة؟ من هو المواطن؟، دون إغفال الأسئلة الدينيّة التي بقيت حتى بعد ظهور الإسلام حول ما إذا كان الإنسان حراً أم مخيراً**»[2]، وكلّها تتبادر إلى فكر الإنسان العادي لكنّها عند الفلاسفة أعمق، ولعلّ كتاب "**ديكارت**" (مقال عن المنهج) كان بمثابة إعلان عمّا انشغلت به الفلسفة، وهو«**تحديد طبيعة المنهج الذي يمكّننا من الوصول إلى الحقيقة**»[3]، لذلك يُعد الفيلسوف طبيب الحضارة؛ لأنّ الفلسفة على مستوى نمط الحياة «**هي تحسين القدرة على التفكير، والعيش؛ حيث أنّها تُفرد الفعل الذي يجعل المرء على درجة من النقد العقلاني، وله قيمة معرفية من تجاربه وحياته**»[4]، ومن فضائل الجائحة العالمية حسب الفلسفة «**إيقاظ الوعي الإنساني وجعله متأهباً للمراجعة الذاتيّة النقديّة**

---

[1] المرجع نفسه، ص483.

[2] أنور مغيث: الفلسفة وأزمة الإنسان، مقال منشور بجريدة الأهرام المصرية،مصر، العدد 48980، سنة 2021، ص 803.

[3] مشـير باسـيل عون: مقاربة فلسـفية للوباء، مقال منشـور بالاندبندنت العربية، بتاريخ 10 أفريل2021، سا 16:22.

https://web.facebook.com/-عون-سيل-با-مشير-البشرية-السيروة-وآثاره-في-كورونا-لوباء-فلسفية-مقاربة/?locale=ar_AR&_rdc=1&_rdr يحتار-

[4] عصـام أسـامة: فن العيش: الفلسـفة في زمن كورونا، مقال منشـور بجريدة المحطة، بتاريخ 1 يونيو، الزمالك، مصر، 2020، ص 16.

الشاملة»[1]، لذلك «**لا تتعامل الفلسفة مع الأوبئة كونها أمراضًا تحتاج إلى لقاحات وأدوية فقط، بل هي ظاهرة ذات أبعاد مختلفة: نفسيّة، وجسديّة، وصحيّة، وأخلاقيّة، واجتماعيّة، ونفسيّة، وذاتيّة، وسلوكيّة، ودينيّة، وتراثيّة، وأنطولوجيّة، وإبستيمولوجيّة...**»[2] ويتضح أنّ «**الأوبئة في الفلسفة هي بحث نقدي في الكثير من الأوهام التي أنتجها الإنسان كوهم الحرية والديمقراطية، وحقوق الإنسان، وحوار الحضارات والديانات وغيرها كثير**»[3]، أي أنّها فضحت خطاب اليقين الذي سيطر على العقل البشري خاصة في ظل «**وباء كورونا الذي دفع الإنسان إلى تجسيد معارفه بنوع من التواضع المعرفي، وعدم الثقة المطلقة في العقل، ومن ثمّ فإنّ التّقدم الذي يدّعيه الكثير من النّاس ما هو إلاّ تقدّم جزئي بإمكانه الانهيار في أية لحظة**»[4]، وهي الفكرة ذاتها التي تطرّقنا إليها في خضم دراستنا لظاهرة الوباء في العلوم الطبيعيّة والطب.

وتتجسّد العلاقة بين الفلسفة والوباء من خلال مواقف بعض الفلاسفة، ولعلّ "**دي مونتين" الفرنسي Michel de Montaigne** ينقل فكرة النقد العقلاني للذات، وللمحيط التي تتيحها الأوبئة، فلمّا فتك الطّاعون بنصف سكان مدينة **بوردو** التي كان هو عمدتها ارتقى سلم برج انتصب على قمّة أحد التلال، وسطّر والحزن يعتصر قلبه لوفاة أعز أصدقائه مقالات رائعة، فانعزاله النّاس جعله يرى نفسه بوضوح، وخرج بنصيحة مفادها أن انتهزوا الجائحة لتروا العالم، وأنفسكم بشكل مختلف قليلاً.

وقدّم "**ألبير كامو**" طرحا فلسفيّا، وذلك من خلال مقالة نشرها في عام 1942 بعنوان "**أسطورة سيزيف**"، ويدور المقال حول سيزيف الذي حُكم عليه بأنّ يدحرج بلا انقطاع إلى قمة الجبل صخرة تعود لتهوي إلى الأسفل بسبب ثقلها، وفي ذلك يقول **كامو**: «**إن مهمّتنا**

---

[1] المرجع نفسه، ص 16.

[2] المرجع نفسه، ص 16.

[3] أحمد ماريف : الفلسفة والجائحة: بحث عن مستقبل أفضل مجلة حوار الثقافي، الجامعة عبد الحميد بن باديس، كلية العلوم الاجتماعية، مخبر حوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسفة السلم، مستغانم، الجزائر، المجلد التاسع، العدد الثاني، 2020، ص 02.

[4] محمود محمد علي، التحولات الفلسفية في ظل الجوائح، مجلة الهدف، العدد: 4 ،أسيوط ، مصر، سنة 2021، ص 120.

ليست فهم المغزى من الكوارث بل تخيّل سيزيف سعيداً»[1]، الوباء عند الفلاسفة محفزّ للتأمّل في الذّات الإنسانيّة، ومحاولة تجديدها، والتدبّر في الوجود، ومستقبله مع ضرورة التعايش معه.

6) الوباء في علم الاجتماع

يحضر موضوع الوباء بشكل محوري في علم الاجتماع، فظهر علم اجتماع الأوبئة بوصفه فرعا من فروعه؛ كون العديد من النّواحي التي ألفناها في حياتنا اليوميّة، تتعرّض بموجب الأوبئة إلى التشتّت نتيجة لحلول حالة من عدم اليقين، والخوف، وبسبب حدوث تغيّرات غير مسبوقة، تؤثر في جميع جوانب الحياة، فتتأثر بذلك العلاقات الاجتماعية بشكل كلّي، وهذا ما يؤكده القول الآتي: «**والأهم من ذلك كلّه إحداثها شرخًا في المخيال السوسيولوجي، لأنّ الأنساق الاجتماعيّة المختلفة عبر الثقافات، وداخل الثقافات الفرعيّة في المجتمع الواحد تتفاوت في فهم الصحّة والاعتلال، وإعادة إنتاج الحياة، كما تتفاوت في تحديد سبل المواجهة عندما تتغيّر البيئة البيولوجية بشكل غير مألوف، خاصّة عندما تعجز النظريّات الكبيرة عن إيراد تفسيرات لكل ذلك**»[2]؛ الثقافة الاجتماعيّة تختلف من مجتمع لآخر لذلك تختلف طرق التعامل مع الوباء.

ويتشكّل علم الاجتماع بالنظريات الكبرى، ويتأثر بالتراث العالمي، لكن يبقى للسياقات الاجتماعيّة الدور الأساس في إنتاج المعرفة، يقول عالم عراقي في هذا الشأن : «(...) **وتبقى السياقات المجتمعية، والثقافيّة المختلفة مرتبطة بإنتاج المعرفة**»[3]، يعني ذلك أنّ اجتياح الوباء يوازي مواجهة المجتمع المباشرة له، وتأثّر كلّ أبنائه، فيضطر كل مجتمع لإنتاج ثقافة معيّنة للتعامل معه، وفق السياق الاجتماعي.

---

[1] الفراك أحمدفلسفة المشترك الإنساني، مطابع إفريقيا الشرق، الدار البيضاء،،المغرب، ط1، 2016، ص 48.

[2] Nas sim Nicholas taleb, The Black Swan: Th Impact of the Highly Improbable (New York : -Penguin Books, 2008 [2007]), P : xvii.

ترجمة :حليم نسيب نصر، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، ط1، 2009، ص 219.

[3] عالم اجتماع عراقي، مقال بعنوان إبستيمولوجيا الجائحة في معرفة المعرفة، الجسد والثقافة والمجتمع، مجلة عمران، دار البصام، العراق، العدد36، 2021، ص 15.

ويمثّل الوباء في المقطع التاريخي محطّات تعرية للنظام الاجتماعي، «**فجميع المؤسّسات، والعلاقات، والتفاعلات في إطاره تصبح فجأة ذات إشكاليّة، والفرضيّات المُسَلّم بها في الحياة تتزعزع، وتصبح محلّ تساؤل وعدم يقين**»[1]؛ اللّحظة التي أصبحت فيها الجائحة ظاهرة اجتماعيّة، هي اللّحظة ذاتها التي تتطلّب تعريفا اجتماعيّا بيولوجيّا، وهي اللّحظة التي تحول فيها الوباء إلى كارثة، وهي اللّحظة ذاتها التي تتسبّب في قطيعة معرفيّة.

وتتّضح الزّاوية التي يشتغل عليها علم اجتماع الأوبئة من خلال هذا القول: «**بتفصيل أكثر تسعى السوسيولوجيا أنتولوجيّا إلى التأمّل في الحقيقة، وإلى فهم العالم ومكوّناته، كما تهدف إبستيمولوجيّا إلى بلورة رؤية معرفيّة في كيفية حيازة الحقيقة، وإلى مقاربة فهم العلم ومكوّناته، بما فيها الأوبئة لأنّها عنصر حاضر في العالم عبر التّاريخ**»[2]، ذلك أنّ الأوبئة عبر التّاريخ ألغت خطيّة السّلوك، وأثبتت أنّ النّسق الاجتماعي دائما على حافّة الفوضى.

وتلفت الأوبئة انتباه علم الاجتماع للتّعمق في الجسد، ووضعه في مركز البحث الاجتماعي، أو بالأحرى لضرورة وجوده في مركز حياتنا الاجتماعية، واحساسنا بالذّات البشريّة، فالجسد على ما يبدو يستطيع أن يخبر بما نودّ أن نعرفه عن العوامل الاجتماعيّة التي كنا سابقا نتنكّر لها، أو نتجاهلها عندما ننظر إليه نظرة حيويّة وبوصفه بدنا، ويطالعنا في هذا الصّدد قول **كريس شلنج Chris Shilling**: «**إنّ الجسد تأريخيا هو من قبيل الحاضر الغائب في السوسيولوجيا، وذلك يعني أنّ حضوره كموضوع وكأداة للتحليل موجود في قلب المخيال السوسيولوجي.**»[3]، و المقصود بذلك هو أن موضوع علم الاجتماع هو تأثير الأوبئة في المجتمع، لا الجسد، وما الجسد إلا وسيلة.

وأهم الأسئلة التي يطرحها الباحث الاجتماعي لإنجاز تقريره حول الوباء، هي :[4]

---

[1] المرجع نفسه، ص 15.

[2] عالم اجتماع عراقي، مقال بعنوان إبستيمولوجيا الجائحة في معرفة المعرفة، ص 17.

[3] Chris Shilling : Sociology and the body: Clarrical and New Agendas, The Sociological Review, vol. 55, no. 1-sup (May 2007), pp 1-18.

[4] Diane Reay: It's All Becominga habitus: Beyond the habitual Use of Habitus in Educational Research, British Journal of Sociology of education, vol 25, nº4, 2004, p 438.

1- كيف يتعامل النّاس في المضامير الاجتماعيّة المختلفة مع الوباء؟ وما المعاني المختلفة التي يعطونها إيّاه؟

2- كيف يتصوّرون الحالة الاستثنائيّة والمخاطر؟

3- كيف يتواصلون حول الأغراض؟

4- كيف يتعايشون مع الوباء؟

5- هل المألوف المستبطن يشجّع على النزعة القدريّة، أم التحكّم في الحياة؟

6- هل تعتمد الثقافة على العون التكافلي للمواجهة؟

7- أي نوع من العون؟

وتدور كلّ هذه الأسئلة حول التعاملات اليوميّة في ظل وجود الوباء. وتُستقى من الأوبئة دروس مهمّة منذ إقلاعها عبر التّاريخ في علم الاجتماع أهمّها اللّامساواة المتوسّدة في جسد المجتمعات، وبأنّ الفئات الاجتماعيّة الأكثر تضرّرا هم أصحاب «**الحياة الحافية**»[1]، فالحجر الصّحي الذي تعتمده الحكومات بوصفه سياسة للحدّ، أو للتخفيف من انتشار الأوبئة، هو بالنّسبة لها نوع من الرفاه الذي لا تقدر هذه الفئة على توفيره، وعليها العمل لسدّ حاجاتها الأساسيّة يوماً إثر يوم، والتضحية بالجسد من أجل ذلك.

ويقترح علم الاجتماع بظهور الأوبئة نظاما مناعيا يتحكّم فيه سلوك الأفراد، في تعاملاتهم، وهذا ما يتضح في ما يلي :« **يؤدّي ذلك إلى بروز ميكانيزمات دفاعيّة معنويّة لدى الفرد، وإلى تسليح الجسد Body Weaponization، وإلى إقامة حواجز حوله، وتبقى عدّة نظم دفاعيّة وصناعيّة، أحدها يتمثّل "بـ "نظام المناعة السّلوكي" Behavioral Immune System، حيث تتم إقامته بالموازاة مع نظام المناعة البيولوجي، ممّا يعمل على التحصّن، وذلك من خلال التحوير في طبيعة الممارسة، والتعامل مع "اليومي" ضمن الحالة الاستثنائيّة، ويمكن للفرد تبنّي استراتيجيّة أخرى وهي "نظام المناعة**

[1] على حد تعبير جورجيو أغامبين Aiorgio Agamben، "أولئك الذين تسود أجسادهم نزعة التشبث بالعيش تحت أيّة تكلفة اجتماعيّة أو جسديّة، وبالتالي الدخول في حالة اللامعيارية Anomie على حدّ تعبير دوركايم Durkheim Emile إلى حالة من التحلّل القيَمي الحياتي، والمهني، لأنّ الوباء يخطف من هذه الشريحة الاجتماعيّة العريضة عملها اليومي.

الرّوحاني"Spirtual Immune System، أو الماورائي، فتتحصّن النّفس الاجتماعيّة بالمقدّس، وترجع إليه ضمن نزعة يفرضها تهديد الوباء من أجل البقاء»[1]، نفهم من هذا أنّ نظام المناعة السّلوكي الذي يتم إنشاؤه لا يكفي لتحاشي الإصابة بالوباء الذي أساسه فيروس غير مرئي، لذلك يستكمل الأفراد ذلك النقص من خلال إنشاء نظام مناعة اجتماعي موازٍ يمكّنهم من استشعار الوباء عن طريق الآليّات الحسيّة، ومصادر المحيط التي يعتقدون أنّها المسبّبة للوباء، أو المساعدة على انتشاره.

كما يدرس علم الاجتماع حالة الهشاشة الدّاخليّة، والاستعداد الذّاتي للفرد (الشعور المؤمن بالقلق، والخوف من المرض)، نتيجة المعلومات المتضاربة التي تنتعش عادة أثناء انتشار الوباء في المحيط الخارجي، «**تتأثر الآليات الدفاعيّة لدى الأفراد، ويتولّد عن هذه الحالة عنف رمزي يتجلى بأشكال مختلفة، كظهور "الإثنية" (جماعة "نحن" المحصّنون ضد الوباء)، وجماعة "هم" الناقلون للعدوى والواجب تجنّبهم**»[2]، وتتجسّد من خلال «**التعصّب ضدّ اللّون، أو العرق، أو الترتيب الطبقي في المجتمع، أو جماعة الريف، والمدن، أو سكنة الأحياء الرّاقية، وسكنة الأحياء الفقيرة المكتظة، أو المهاجرين، وقد "يطال التمييز حتى المتعصّبين دينياً**»[3]، نعني بالفئة الأخيرة اتهام المتعصبين دينيّا لأولئك الذين يتميّزون من العصاة كونهم في نظرهم سبب الوباء، وتتّهم هذه الإثنيات بعضها بأنّها السّبب الرّئيسي للوباء وفق معايير اجتماعيّة معيّنة.

ويمكننا حصر اهتمامات علم الاجتماع عند ظهور الأوبئة في النقاط الآتية :[4]

- الحجر الصّحي وتأثيره في الأشخاص من ناحية ظروف سكنهم، وعملهم، ومداخيلهم (أولئك الذين يقتاتون من مجال الخدمات المنزليّة، والمطاعم...).

---

[1] Marcel Nouss, Thniques of the Body, Economy and Society, vol 2, n1, 1973, pp 70-88.

[2] Darim Al Basam, The Coronavirus: Sociology of a Pandemic, gulf times, 21/3/2020, accesed on 21/3/2021 at : https://bit.ly/3w6mhqt.

[3] عالم اجتماع عراقي،مؤلف مجهول، مقال بعنوان "إبستيمولوجيا الجائحة في معرفة المعرفة"، مرجع سابق، ص 36.

[4] **دومنيك فانك Dominique Ninck:** أستاذ دراسات العلوم والتكنولوجيا في معهد العلوم الاجتماعية، جامعة لوزان، سوسيرا، مقال بعنوان الجائحة والعلوم الاجتماعية، مجلة عمران دار البصام، العدد 36. السنة 2021، ص 70.

- هشاشة الأسرة والعيش في مساكن محصورةٌ، ومغلقة، وما يترتب على هذا النّمط من توترات، وعنف، وهيمنة ممّا يجعل الحياة جحيماً.

- الموارد العاطفية : أي التواصل الاجتماعي، والعلاقات الحميميّة بين الأزواج، والأبوة، والأمومة، والمراقبة المتبادلة، والرعاية في فترة الحمل، وكسر الرّوتين، وتعلّم أدوار جديدة، ودعم كبار السّن، واحتواء الطلاّب، والمعاقين، ومحيط المساجين...

- الدّعم المتبادل : من خلال مساندة الجمعيّات لذوي الدخل الحرّ، ودعم العائلات الداخلي.

قدرة الأفراد على المقاومة والتكيّف.

- العدالة الاجتماعيّة، والإنصاف، والتمييز العنصري المستفحل في الغرب.

7) الوباء في علم الاقتصاد

لم يكن علم الاقتصاد بمنأى عن الأوبئة بسبب قوة تأثيره منذ القديم؛ فإذا كان الإنسان البدائي يختبئ في الكهوف ريثما يزول الوباء، فإنّه فيما بعد أصبح حريصاً على إنجازاته، ومجهوداته، وحياته الاقتصادية التي تضمن له تنمية مستدامة، وتحفظ له كرامته : و«**بموجب الوباء تتأثر البنيات الاقتصادية، وتضطرب التجارة، وتنهار الأسهم فتصبح المشكلة الأساسية تكمن في ضرورة المحافظة على الوجود بمنظور كلّي لا فردي أو محلي**»[1] فظهور الوباء في مجتمع ما يهدّد بالدّرجة الأولى البنيات الاقتصاديّة التي سعى الإنسان لتنميتها.

ويهتم علم الاقتصاد بظهور الأوبئة اهتمامه بالتجهيزات، والوسائل بتكلفتها العالية في كلّ الدّول طيلة مدة الجائحة، وهذا ما يوضّحه هذا القول : «**تكمن أهميّة الأوبئة في الدّرس الاقتصادي من خلال التكاليف المتعلّقة بالنظام الصّحي العام، والخاص، والمعدّات الهائلة التي تُسخَّر للمرض، وللوقاية على حدّ سواء، بهدف السّيطرة على الجائحة**»[2]، وكلّ هذه المعدّات تستنزف الطّاقة الاقتصاديّة.كما تجبر الأوبئة المرضى، ومن يرعاهم على فقدان

[1] مؤلف جماعي: الزمان الوبائي، مركز تكامل للدراسات والأبحاث، أكادير، العراق، ط1، 2014، ص 26.
[2] مؤلف جماعي: الزمان الوبائي، ص 28.

وظائفهم الحرّة أو التقصير في عملهم إذا كانوا مثبّتين في مناصبهم، وبالتّالي «**إبطاء عجلة التنمية، وتعطيل الإنتاجيّة بغلق المدارس، والشّركات، والكيانات التجاريّة، والنّقل، والخدمات العامّة، وكلّها تعطّل الأنشطة الاقتصادية**»[1].

وما رصده علم الاقتصاد هو عدم تكافئ العواقب بين الدول، بل وبين القطاعات في الدّولة الواحدة، حيث «**تعدّ شركات الأدوية المنتجة للّقاحات، وللمضادات الحيويّة، أو غيرها من المنتجات اللّازمة لمجابهة الأزمة الوبائيّة من المستفيدين، في حين تتكبّد شركات التّأمين الصّحي على حياة الأفراد، والحيوانات خسائر هائلة**»[2]، و مهما بلغت استفادة أحد القطاعات فإن الاقتصاد العام يتأثّر.

ويعمل علم الاقتصاد على تعزيز النُّظم، والخدمات، والبنية التحتيّة من أجل تقليص الأثر الاقتصادي، وذلك بفصل الإنسان عن مسبّبات الأمراض الوبائية قدر الإمكان، «**فيتم الاستثمار في تحسين الصّحة العامّة، بتدعيم التّغذية السّليمة، وتوفير المياه النّظيفة (...) لذلك تتدخّل التقارير التي يحرّرها خبراء الاقتصاد في سنّ السياسيّين للتّعليمات، والقوانين، التي من شأنها حماية الاقتصاد من الصّدمات الصحيّة الكبيرة، والتي قد تمسّ المال البشري، وتعوق النّمو الاقتصادي**»[3]، يتّضح من هذا القول أهميّة الأرقام الاقتصاديّة في سنّ الحكومات للتعليمات، والقوانين المتعايشة مع الأوبئة.

---

[1] ديفيد بلوم : أســـتاذ الاقتصـــاد والديمغرافيا، مقال بعنوان "الاقتصـــاد والوباء"، ترجمة: محمد عارف، مجلة التمويل والتنمية، العدد الرابع، 2018، ص 46.

(ويمكننا توضيح الخسائر التي تتكبدها الدول جرّاء الوباء بأمثلة حيث : "قدّمت كلّ من "فكتوريا فان" و"دين جاميسون" تقديرات لمعدل التكلفة السّنوية التي تسببها الإنفلونزا الوبائيّة والتي تصل إلى حوالي 500مليار دولار أمريكي أي ما يعادل 0.6% من الدخل العالمي، بما فيها كلّ من تكلفة الدّخل المفقود، والتّكلفة الفعليّة لمعدّل الوفيات المرتفع، حتى عندما يكون الأثر الصّحي للوباء محدودا نسبياً، فإنّ التداعيات الاقتصاديّة تتعاظم سريعاً ومثال ذلك انخفاض معدل النموّ الإجمالي للنّاتج المحلّي في ليبيريا بنسبة 8% نقطة من 2013 إلى 2014، إبان اجتياح فيروس الإيبولا غرب إفريقيا، رغم انخفاض معدّل الوفاة القطري الكلّي خلال الفترة نفسها"[1]، وكلها أرقام تبيّن تأثر الاقتصاد سلبياً بتفشي الأوبئة).

[2] مؤلف جماعي : الزمان الوبائي، ص47.

[3] المرجع نفسه، ص 47.

ويمكن حصر انشغالات علم الاقتصاد عند ظهور الأوبئة في النقاط اللآتية :[1]

- سلسلة القيمة على المستويين الوطني والدّولي، وما يحدث فيها من اضطرابات بسبب الأوبئة فيما يتعلّق بتوريد السّلع والخدمات؛ حيث يؤدّي فقدان الدّخل لخطر تكبّد الشّركات خسائر كبيرة في العائدات، وانخفاض الاستثمار، والقدرة الشرائيّة، والاستغناء عن العمّال.

- الزيادة في نسبة الفقر العالمي بسبب انخفاض شبكة الأمان الاجتماعي، وتخفيض ساعات العمل وزيادة معدّلات البطالة، وكل هذه العوامل تؤثّر على إنتاجيّة العمل فترتفع السّلع، وتنخفض القدرة الشّرائيّة، وهذا يعني الرّكود التّجاري.

- الانكماش في تدفّقات الاستثمار العالمي، وتعدّ شركات الطّيران، والسيّارات الأكثر تضرّرا، لذلك تحاول البلدان للحدّ من آثار الوباء التّسريع في إجراءات الموافقة على الاستثمار، وتعزيز الاستخدام المكثّف للأدوات، والمنصّات الالكترونيّة، وتقديم خطط، وحوافز للبحث، والتطوير المتعلّق بالصّحة.

- التوقف المفاجئ لرؤوس الأموال لدى الأسواق النّاشئة، والذي يؤدّي إلى ارتفاع تدفّقات الدّيون الخارجيّة، وكذلك بالنّسبة للدّول النّامية.

- التأثير على أنظمة الأغذية، والزّراعة بشكل يهدّد رفاهيّة المجتمع، مع أنّ هذه المشكلة قائمة في الحالات العاديّة؛ حيث تسعى كلّ الدّول في العالم جاهدة لتوفير الغذاء لسكّانها، لذلك يتدهور الوضع أكثر فأكثر بظهور الأوبئة. ومنعا لتفاقم أزمة الغذاء، تجتهد البلدان في اتّخاذ تدابير مناسبة لضمان حقّ الوصول إلى الغذاء، والحفاظ على سير عمل سلاسل الإمدادات الغذائيّة العالميّة عبر أنظمة الأغذية الزراعيّة، مع إيلاء الاهتمام بالفئة الأشد فقراً وضعفاً، بما في ذلك المشرّدين.

- يعيد علماء الاقتصاد بظهور الأوبئة ترتيب الأولويّات ترتيباً استثنائيّا، فتصبح الصّحة هي أولى الاهتمامات؛ فمن الضّروري تزويد هذا القطاع بالمعدّات اللّازمة للعلاج، والوقاية على حدّ سواء، وكلّ تماطل يؤدّي بالضّرورة لاضطراب البنيات الاقتصاديّة، لكن

[1] يوسف أحمد العثيمين : آثار الأوبئة، منظمة التعاون الإسلامي، 2020، ص من 4 إلى 15 على الموقع : www.sesric.org (ملخص لما ورد بين الصفحات).

عموما لطالما عانى الجانب الصحّي من نقص في الموارد طيلة ظهور الأوبئة عبر التّاريخ، وهو ما يكشف هشاشة الأنظمة، وعدم استعدادها الكافي للطوارئ.

- يُفقد التأثر الناتج عن غلق المدارس الجانب الاقتصادي رأس مال بشريّ مهمّ في المجتمعات ذات الكثافة السكانيّة التي تغلب عليها فئة الأطفال؛ لأنّ ظروف التمدرس الفوضويّة، أو المتعطّلة في ظلّ الوباء تؤدّي إلى التسرّب المدرسي، وفقدان فرص الاستفادة من المزايا الاقتصاديّة، لافتقارهم المستوى التعليمي اللّازم في مختلف المجالات.

ولعلّ هذه النقاط كافية للكشف عن مدى تأثير الوباء في الجانب الاقتصادي، وخلخلة قواعده.

8) الوباء في علم النّفس

تعدّ ظاهرة الأوبئة موضوعاً مهمّاً في علم النّفس؛ حيث ينصبّ اهتمام علم نفس الأوبئة على جوانب عديدة من النّفس البشريّة، على رأسها الجانب السّلوكي للإنسان، ومنسوب القوّة، والمواجهة منذ القديم، فالفرار عند الخطر، أو ما نسمّيه اليوم بالحجر، والتباعد، هو ممارسة قديمة، وبدائيّة في الوقت الذي لم يكن الإنسان فيه سيّدا على الطّبيعة، أمام قوّة، وبطش الحيوانات الكاسرة، التي كان يقتات على بقاياها، «**فكان سبيله للبقاء الجبن، والضعف، واستمرّ كذلك فترة طويلة قبل تبلور آليات الدّفاع، ثم الهجوم لديه. ومع التعاقب التّاريخي أصبحت مقاومته ذكيّةً ومجازفته للهجوم مسبوقة بضمان للرّبح ولو نسبيا، وهذا ما تفسره الحروب التي جسّد من خلالها قدرات أحسن على مواجهة الموت، وقهره من خلال صناعة الأسلحة إمّا للهجوم، أو الدّفاع. وأثبت سيادته على الطبيعة**»[1]، لكن الأوبئة مصدر خطر بالنسبة للإنسان بوجه مختلف لأنّها غير مرئيّة ومجهريّة، وحاصدة للأرواح، فرصد علم النفس تمكّن القلق، والخوف من الأنفس بشكل فظيع، ويعلّل الإنسان هذين الشعورين بما يلي :[2]

- الخوف من الإصابة بالوباء والموت.

[1] الفراك أحمد: فلسفة المشترك الإنساني، مطابع إفريقيا الشرق، الدار البيضاء،المغرب، ط1، 2016، ص 35.

[2] مؤلف مجهول : مذكرة حول الجوانب المتعلقة بالصحة النفسية في ظل الوباء، مجلة "ذا لانسيت" العدد395، 2020، ص 14. Mhpss.refgroup@gmail.com

- تجنّب تلقي الرّعاية الصحيّة خوفاً من العدوى.
- الخوف من فقدان سبل العيش، وعدم القدرة على العمل، والخوف من الطّرد من العمل.
- الخوف من الاستبعاد الاجتماعي في حال الإصابة.
- الخوف على المقرّبين منهم، والشّعور بالعجز عن حمايتهم.
- القلق والملل بسبب الشّعور بالعجز، والوحدة، والاكتئاب في العزل والحجر.
- الشّـعور بالقلق، والتوتر لدى العاملين بمجال الصّـحة بسـبب كثرة سـاعات العمل، وبقاء أطفالهم وذويهم وحدهم دون رعاية.
- الخوف من التواصل، والذي يُنمّي الحذر، ويقضي على العفويّة، والتلقائيّة.
- القلق النّاتج عن الرّفض المجتمعي تجاه المتعافين من الوباء.
- التوتر النّاجم عن العنف الأسري، وعنف الشّريك.

وكلّها مشاعر سلبيّة تقضي على الطمأنينة، والهدوء، والأريحيّة في التعامل مع الآخرين.

ويتمثل دور الأخصّائي النّفسي في استخدام الأسس، والتقنيّات، والطّرق، والإجراءات النفسيّة «**قصد فهم ديناميّات شخصيّة الفرد، وتشخيص مشكلاته، والتنبّؤ عند احتمالات تطوّر حالته، ومدى استجابته للعلاج، ثمّ العمل على الوصول بالفرد إلى أقصى توافق نفسي اجتماعي ممكن**»[1]، ويتم ذلك بتضافر جهود الأخصّائيين في الفريق العيادي مثل: الطّبيب، والأخصّائي الاجتماعي كلّ في حدود إعداده. «**كما يعتني علم النّفس بكل ماله علاقة بالجوانب النّفسية من ضغوط واضطرابات، ولا يتأتّى ذلك إلاّ بتكوّن أخصّائيّين نفسانيّين تكويناً علمياً قويّاً من النّاحيتين النّظرية، والتطبيقية**»[2]، لأنّ ذوي الاختصاص أدرى بمنافذ النّفس البشريّة، وطرق التّعامل معها، وتعدّ التّوعية أول شيء يسهم به الأخصائيّون النفسيّون مع أفراد المجتمع، اعتماداً على تقنيّات ومهارات نفسيّة، منها قدرتهم على الحوار، والمناقشة، والإقناع، والإصغاء إلى الانشغالات، وهم بحكم أنّهم متخصّصون يتحكّمون في هذه المهارات أكثر من غيرهم، بل يتحكّمون فيها أكثر من الأطباء، فكثير منهم تنقصهم

[1] زفاد دليلة : الأخصائي في علم نفس الصّحة مدعوّ لتفعيل دوره ميدانيا.
/massa.com/dz-https://www.el تمت زيارة الموقع يوم: 31 أوت 2022

[2] شيباني ليلى : بصمة الأخصّائي النّفسي في الوباء. res.com-https://www.dz mp=27568.

مهارات التواصل مع المرضى، والشّرح، والتّوضيح...ويتمّ ذلك من خلال تنظيم لقاءات مع الشّباب، وجمعيّات المجتمع المدني، وفي المدارس، والجامعات، ومؤسّسات التّكوين المهني...

كما يقف الأخصّائيّون النفسيّون إلى جانب المصابين أثناء العلاج «**بتبديد مخاوفهم والرّفع من معنويّاتهم، وهذا في حدّ ذاته يحفّز المريض على الامتثال للشّفاء، وهنا يكون دور الأخصّائي النّفسي لا يقلّ أهميّة عن دور الطّبيب، الذي قد لا يجد الوقت للشّرح والتفصيل، فما بالك بالدّعم المعنوي بسبب الاكتظاظ وكثرة ساعات العمل وغياب الرّاحة**»[1].

ويصاحب الأخصّائيون النّفسيّون المرضى حتى بعد تعافيهم، «**في مرحلة يُطلق عليها "معالجة اضطرابات ما بعد الصّدمة" حيث يحتاج المتعافون من الوباء لمساندة نفسيّة لتجاوز الصّدمة، والرّجوع إلى الحياة العاديّة والتكيّف النّفسي**»[2]، بهذا يكون الأخصّائي النّفسي بجانب المصاب في كل مراحل مرضه.

وهكذا يعمل علم النّفس على استفزاز مخزون التّحدي، والمواجهة عند الإنسان، «**فبالرغم من أنّ حالات الخوف، والرّعب، والتّرقب، والقلق التي تصاحب الظّهور الأوّلي للوباء تكون كبيرة، إلاّ أنّ الإنسان يضطرّ للتّقبل، والتعايش مع المرض، فينخفض منسوب تلك الحالات لديه، لأنّه يعي بطريقة، أو بأخرى أنّ التعايش، والتّقبل هو السّبيل الوحيد للبقاء**»[3]، ويؤكد هذا القول ما لوحظ أثناء اجتياح وباء فيروس كورنا العالم ؛ إذ كانت حالة الخوف في البداية على أوجّها من خلال الترقب، والحرص على التعقيم، وارتداء الكمّامة... لكن مع مرور الوقت أصبح التّقبل، والتعايش يحلاّن محلّ تلك المشاعر السلبيّة؛ فالنفس طوّاقة إلى الاستقرار، وموضوع علم النفس هو البحث الدائم على السبل المؤدّية إلى توازن الذوات داخليّا، ومع العالم الخارجي، ولأن الأوبئة تؤثر على هذا التوازن فمن البديهي أن تكون محل دراسة في هذا العلم.

---

[1] بوفلجة غيات: دور الأخصّائي النّفسي في بيئة الوباء، مجلّة العلوم الاجتماعيّة، العدد: 2022/08، ص 23-25.

[2] المرجع نفسه، ص 23-25.

[3] حنا آرندت : الإرادة، ترجمة : أ.نادر السنوسي، دار الرّوافد الثقافيّة للنّشر، ط1، 2017، ص 44.

الفصل الثاني
خطاب الوباء في الأدب

الوباء في الأدب

تقديم

يرصد الأدب كلّ مظاهر الحياة؛ حركاتها، وسكناتها، لذلك من البديهي أن تكون الأوبئة موضوعا له، وتجلى ذلك من خلال أعمال مميزة لمبدعين اتخذوا من الأوبئة قناة لنقل مظاهر المجتمع، ولسبر أغوار النفس البشرية، ومناقشة أمور الحياة والوجود. وهذا ما سأسعى لاستجلائه في هذا المبحث من خلال قراءة تاريخية للأعمال الأدبية التي تناولت الأوبئة شعرا، ونثرا.

ولم يكن أدب الأوبئة وليد اللحظة إنما له جذوره وامتداداته التاريخيّة في حياة البشر، ليعبّر عن آلامهم، وآمالهم في لحظات الضّعف البشري أمام الأوبئة والجوائح، وفي هذا يقول أحد الباحثين : «**لم تكن الأوبئة التي تحلّ بالبلاد والعباد بعيدة عن الأدب وتعبيراته، بل إنّ أدباء اللّغة العربيّة القدماء، والمحدثين قد كتبوا كثيراً من الرّوايات التاريخيّة، والأجناس الشعريّة، والنثريّة التي تعبّر عن واقع الوباء، وتستجلي معالمه**»[1]، وهذا يوضّح حضور الأوبئة -على مرّ التّاريخ- في الأدب بمختلف أجناسه وأنواعه.

ولم يعرف الأدب العربي تسمية أدب الأوبئة إلاّ مؤخراً بظهور وباء فيروس كورونا، رغم ما طالعناه من أعمال تناولت الطّاعون، والكوليرا...، في حين «**عُرف في الأدب الغربي بأدب الكوارث، حتى "أدب الطّاعون" "يمكن إدراجه ضمن أدب الكوارث، أو النّوازل الذي يتّسم**

[1] حسين عمر دراوشة، أدب الأوبئة وتجليّات كورونا في سياق نصوص الخطاب الشّعري المعاصر، المجلّة الدوليّة للدّرا سات الأدبيّة والإنسانيّة، العدد01، مخبر المو سوعة الجزائريّة الميسّرة، جامعة باتنة 1 - الجزائر –، مارس، 2021، ص 09.

بقلة أدبيّاته بسبب بعد الشّقة بين أزمنة وقوع الطّواعين، والأوبئة، فكثيراً من أدباء اليوم لم يعيشوا وباء القرن الماضي»[1] ويلاحظ من هذا القول أنّ **أدب الأوبئة** هو تسمية مستحدثة فرضها وباء فيروس كورونا، فما مفهوم أدب الوباء؟ وكيف تجلّى في الأدب عبر العصور؟

1) مفهوم أدب الوباء

يُعرّف أحد الدّارسين أدب الوباء بقوله: «**هو تلك الأعمال الأدبيّة؛ شعريّة كانت، أم نثريّة التي تتخّذ من موضوع الوباء محوراً تُبنى على أساسه قصّة، أو قصيدة، أو رواية، عن طريق استلهامه من الواقع الذي يعيشه، أو يشاهده الأديب، فيكون هذا الأدب نسخة وصورة لهذا الواقع، ومن مسمّياته أيضا أدب الطّاعون، ويصنّف هذا الأدب ضمن ما يُعرف بأدب الكوارث، وهو الأدب الذي يُعنى بكلّ ما يعانيه الإنسان بسبب الأمراض، والكوارث الطبيعيّة، كالزّلازل، أو الظّواهر الاجتماعيّة، كالانتحار وغيرها، أي هو الأدب الذي يصوّر مآسي الإنسان**»[2]. ويُستنتج من هذا التّعريف أنّ الوباء هو ثيمة كبرى في أدب الأوبئة يتّخذها المبدعون مادّة أوّليّة لرصد مآسي الإنسان، ويندرج ضمن أدب الكوارث الذي يصوّر الواقع الأليم عند حدوث الكوارث الطبيعيّة والاجتماعيّة.

ويمكن في السّياق ذاته، استحضار الوصف الموجز، والشّامل الذي قدّمته باحثة حول أدب الوباء، فتقول: «**هو أدب كوني، أدب الجماعات الإنسانيّة الكبرى بمتخيّلها الجمعي، وحتّى الشّخصي، تشكّل عبر قرون طويلة، وخلّدته الذّاكرة البشريّة شعراً، ونثراً، وأساطيراً، وملاحماً، وفي أصناف أدبيّة لا حصر لها. هو أدب عابر للقارّات، والأجناس، والعرقيات، يتخطاها ليكون للجميع نموذجًا واحدًا... وهو العزلة والتأمل في الذات البشرية، هو أدب متعدد الاختصاصات، ينفتح على التّاريخ، والفلسفة، والأنطولوجيا، والفنون وغيرها**»[3]،

[1] محمد سالم، أدب الأوبئة في التراث النقدي والبلاغي -دراسة في شعر على الدرويش ونقولا الأسطمبولي، المجلّة العربية مداد، العدد 11، قسم اللغة العربية، كلية اللغات والاتصال، جامعة السّلطان زين العابدين -ماليزيا-، أكتوبر2020، ص72.

[2] عبد الغني خشّـة: الحبّ في زمن الكوليرا، والكورونا بين الشّـعر والسّرد، مجلّة الموروث، المجلّد10، العدد01، جامعة 08 ماي 1945، قالمة – الجزائر-، سبتمبر2021، ص 214.

[3] ضياء عبد الله الكعبي : أدب الأوبئة بين الخيال والواقع، مجلة الاتحاد، العدد24، نوفمبر 2020، ص 27.

يُستنتج من هذا التّعريف الجانب المشترك في المعاناة الإنسانيّة التي تصبح بموجب الوباء عالميّة لا تميز بين الحدود الجغرافيّة، والدينيّة، والعرقيّة. ولعلّ ملامسة ظاهرة الوباء لمختلف الآداب، والفنون، والعلوم، هو دليل على عمق أثرها. ومن ناحية أخرى يفتح الوباء المجال أمام خيالات المبدعين للتأمّل في الوجود الإنساني، وحقيقة الذّات البشريّة، وحجمها أمام هوله، وهذا ما تعبّر عنه الأعمال الأدبيّة على خلاف أنواعها.

وينحو باحثان آخران المنحى ذاته في هذا السّياق، فيعرّفان أدب الأوبئة في آخر إصدار لهما بقولهما: «**يمكننا القول أنّ هناك ما يمكن أن نطلق عليه أدب الوباء، أو النّوازل والكوارث، وهو يتكون من كافة الفنون الأدبيّة من شعر ونثر، وقد بدأ منذ العصور القديمة، وتناول الأوبئة المختلفة وما فعلته بالبلاد، والعباد، وكيفيّة تعامل النّاس مع تلك الأوبئة، فتظهر مجموعة من النّصوص الأدبيّة الخلّاقة الماتعة، التي تسهم في تخفيف الأوجاع، والتّعامل معها**»[1]. يذهب هذا التّعريف إلى ضرورة الاعتراف بأدب اسمه **أدب الوباء**، ولو لم يكن الالتفات لهذه التّسمية واردًا سابقا، فأدب الوباء له مجاله، مادته الأوبئة التي صوّر من خلالها المبدعون ما ترتّب عن علاقة التأثير، والتأثّر بين الوباء، والمجتمع من مفاهيم، ورؤى متجسّدة في أنواع، وأجناس أدبيّة متعدّدة.

2) خطاب الوباء في الشعر

يعدّ الشّعر من صور التعبير الشّعوري التي يعكس من خلالها الشّعراء خلجاتهم النفسيّة والفكريّة، وهو ما يجعله من أكثر الأجناس الأدبيّة مواكبة للأحداث وأصدقها شعورًا، لأنّه إلهام يستمد وحيه من الانفعال والعاطفة، يتوكّأ فيه الخيال على الإيقاع، والحسّ الموسيقي، والإيجاز والتكثيف الدلالي. لذلك كلّما عصف وباء بالبشرية انبرى الشعراء يصدحون تنفيسًا، وتوصيفًا بأثره، ووقعه في نفوسهم، وفي مجتمعاتهم، مجسّدين مواقفهم، وتجاربهم الشعريّة. متّخذين منه ثيمة كبرى لرصد زوايا متعدّدة: فهذا صوّر فضاعته، والآخر رثى أحبابه الذين قضى عليهم الوباء، وهناك من وظّفه للتعبير عن أغراض أخرى كالغزل، أو

[1] هاني إ سماعيل رم ضان، عماد عبد الباقي علي، تجليات كورونا في ال شعر المعاصرة -درا سات نقدية-، المنتدى العربي التركي للتبادل اللغوي، الطبعة الأولى، 2021، ص 19.

المدح، أو الهجاء... فتجلّى الوباء في موضوعات، ومعان، وأغراض عدّة سأحاول في هذا المبحث استجلاءها عبر العصور من خلال أشهر النماذج.

1.2 الأساطير والملاحم

ورد الحديث عن الوباء في الشّعر الملحمي مقترنا بالآلهة، وهذا ما وجدتُه في إلياذة هوميروس، وتبدأ حوادثها بأن يأسر أجممنون بنت قسيس للإله "**أبولو**" اسمها "**كريزيس**"، ولهذا يتفشى الطّاعون في جيش اليونان، ويقبل "**أجممنون**" أن يرد الأسيرة على شرط أن يأخذ مكانها "**بريزيس**" أسيرة "**أخيل**" (أخيليوس باليونانية)، فيغضب هذا الأخير، وينسحب بجنده (المرميديون)، وصديقه "**باتروكلوس**" من الحرب، فيضعف الجيش، ويهزمون شرّ هزيمة... ويعترف "**أجممنون**" بخطيئته، ويرسل الرّسل لمصالحة "**أخيل**" الذي يرفض رفضا قاطعا، لأنّه كره هذه الحرب طويلة الأمد، ويصرّح بأنّه سيبحر غدا مع أتباعه إلى اليونان، لكن نصيحة "**أثينا**" تجعلهم يتمسّكون بها ولا يخرجون عنها، وتتوالى هزائم اليونانيين، ويخجل "**باتروكلوس**" فيستأذن "**أخيليوس**" في الاشتراك في الحرب مع جنده، فيأذن له أخيل ويعيده سلاحه، ويهزم الطرواديون إثر ذلك، غير أنّه يُقتل على يد "هكتور" **فيندم** "**أخيل**" على استسلامه لغضبه، ويفكّر في الانتقام لصديقه، فيصالح "**أجممنون**"، ويشارك في الحرب للانتقام من "**هكتور**" قاتل صديقه، فيقتل "**هكتور**"، ويمثّل بجثّته ويأتي إليه "**بريام**" الملك الهرم، ويرجو منه أن يسلّمه جثة "**هكتور**"، وكانت قد بلغت الوحشيّة من "**أخليوس**" أنّه أراد رمي الجثّة للكلاب، ولكن سرعان ما رقّ قلبه، وسلّم جثّة "**هكتور**" إلى أبيه الهرم شفقه به[1].

ويرصد هوميروس في الإلياذة الوباء الذي حلّ باليونانيين أثناء حرب "طروادة" فقال في النشيد الأول :

[1] أحمد محمد عوف، موسـوعة حضـارة العالم، نسـخة محفوظة على موقع "واي باك مشـين" منذ: 01 ديسـمبر2017، ثم الإطلاع على الموقع والنهل منه يوم 29-12-2022، على السـاعة: 09:52. /https://web.archive.org

أَيُّ رَبٍّ قَضَـى فَمَـا غَيرُ فِي بُوس وَزَفسٍ وَنَكَّلاَ تَنكِيـلا
فـابنُ لاَطُـونَةٍ بِأترِيذَ رَامَ الـ سوءَ مُذ سَامَهُ جَفَاءً ثَقِيـلا
فَـدَهَى جَـيشَهُ بِشَـرٍّ وَبَـاءٍ فَـغَدَت جُـندُهُ تَخِرُّ قُلُولا[1]

يظهر من الأبيات الشعرية السّابقة أن سبب الوباء هو ابنة الكاهن، وإهانة القائد "**أجممنون**"، وعدم إرجاعه ابنته؛ حيث ردّه خائبا فاستغاث بالإله "**أبولو**" فأغاثه، وضربهم بوباء الطّاعون "**فعدّت جهنّم فلولا**"، وعليه الوباء بهذا المنظور كان لعنة وعقابا.

وتصوّر مسرحيّة "**أوديب ملكا**" للشّاعر المسرحي الإغريقي "**سوفوكليس**" الوباء على أنّه عقاب إلهي وتدور أحداثها في مدينة "**طيبة**"، التي أصبح أوديب ملكا عليها، بعد مقتل والده "**لايوس**"، مكافأة له على قتله الوحش "**أبو الهول**"،كما تمّت مكافأته بتزويجه من الملكة "**جوكاستا**" دون أن يعلم أنّها أمّه، ولا هي تعرف أنّه ابنها، فأنجبا ولدين وبنتين، وبسبب هذا الدّنس تغضب الآلهة، ويتفشّى الطّاعون في المدينة، فيقضي على حياة الكثيرين. وفي سعي أوديب لتخليص الشّعب من هذا الدنس يبعث خاله "**كريون**" لاستطلاع نبوءة معبد "**دلفي**"، فتأتيه النبوءة بأنّ المرض عقاب من الآلهة حتى يزول الدنّس الذي يعيش وسطهم (...) فيقتصّ "**أوديب**" من نفسه بفقئ عينيه بيديه، ويغادر خارج البلاد منفيا، أمّا "**جوكاستا**" فتنتحر شنقا، ليكون الوباء عقابا إلهيا على الخطيئة.

كما حضر وباء "**الطّاعون**" في المسرح الشعري "**لشكسبير**" في موقف واحد من مسرحية "**روميو وجولييت**" ؛ حيث «**تلجأ جولييت إلى راهب يعطيها جرعة من دواء يجعلها تبدو كالميّتة لتستيقظ في المقبرة، وتهرب إلى حبيبها، لكنّ الرّاهب يجري احتجازه في الحجر الصحي بسبب الاشتباه في إصابته بالطّاعون مع كاهن آخر كان يساعد المرضى، وهكذا يفشل في توصيل الرسالة إلى روميو الذي يعتقد بأنّ حبيبته ماتت، ويصل إلى المقبرة، ويشرب السّم ويموت، وحين تستيقظ جولييت، وتجد روميو ميّتا تستل خنجرا من غمده وتقتل نفسها**»[2].

[1] هوميروس: الإلياذة، تعريب سليمان البستاني، الجزء الأول، مكتبة صادر،بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص 206.
[2] هوميروس : الإلياذة، تعريب سليمان البستاني، ص 206.

ويرمز الطّاعون من هذا المنظور إلى ثنائية الموت، والحياة؛ إذ أنّه كان السّبب في توقف حياة "روميو" و"**جولييت**"، بتعذّر وصول "**جولييت**" إلى "**روميو**" لكن هذا لا ينفي عنه حلوله كعقاب إلهي، وهذا ما أوضحته بعض نصوص "**شكسبير**" في معرض التعبير عن الغضب والاشمئزاز : "قال "**مركوشيو Mercutio**" : «**يحلّ الطّاعون على عائلتيكما (...) ويعرض تيمون الأثيني Timon of Athens على زائره قائلا : هاك الذهب كن طاعون كوكبي حين ينفث إليه المشتري سمومه في الجو، ويوبئ سماء المدينة الفاسقة**»[1].

ويؤكد هذا الطرح قول شكسبير على لسان **كريولانس Coriolans** وهو يخاطب العامّة قائلا:

أَلاَ حَلَّت بِكُم أَوبَـــاءَ رِيـــحِ الجَنُوبِ

كُلُّهَا

يَا عار رُومَا

يَا قَطِيعًا مِنَ الدَمَامِل

وَالطَّوَاعِيـنِ

حَتَّ لِيَمقُتُـونَكُم عَـلَى أَبعَدٍ مِمَّ

يَرَونَكـُم

وَيَعـدِي بَعْضَـــكُم بَعضًـــا

وَلَو عَـلَى بُعْدِ مَيـلٍ عَكْسَ الرِّيـحِ[2]

ويظهر وباء الطّاعون في هذه المقاطع في خطابات "**شكسبير** "كخلفية للفسق والفساد الذي صدر من العامّة، فاستحقوا الدّعاء عليهم بالوباء، فحلّ بهم الطّاعون، ونكّل بهم عقابا لهم على خطاياهم.

[1] يارا أبو زيد، 2020، الطّاعون في أعمال شكسبير، الباحثون المصريون، مبادرة علمية تطوّعية تم إنشاؤها في 2014/08/04، تم الاطلاع على هذا المحتوى في 2023/08/07 على الساعة: 11:19.

[2] هوميروس: الإلياذة، ص 206.

وورد في الأدب العراقي القديم ملحمة بعنوان "**ملحمة أتراخاسيس**" جاء فيها ذكر الطّاعون على أنّه كذلك غضب من الآلهة على سكان المنطقة، وتخبر هذه الملحمة حسب موقع "**إيلاف**" العراقي مايلي : "عندما أصبحت البلاد واسعة جدّا، والنّاس كُثر، اضطرب نوم الإله "**أنيل**"، وصار ضجيج النّاس يزعجه، فخاطب عظماءهم بهذه الأبيات :

ضَجِيــج الجنِــس البَشَرِي لَـمْ يَعُدْ يُطَــاق

صَــخَبُهُــمْ يُفْقِدُنِــي نَوْمِــي

أَعْطَوْا الأَمْرَ كَيْ يَتَفَشّى فِيهِمْ مَرَضُ الطّاعُــون"[1]

«**وسمع شخص اسمه "أتراخاسيس" كلام الإله "أيّا" الذي أمرهم بالصلوات، ودلّهم على مكان الإله "نمتار" (وهو إله القدر أو تحديد المصير عند السومريين) فذهب إليه بالخبز رفقة شيوخ المدينة، وشيّدوا له معبدا، وقدّموا له القرابين ففارقهم الطّاعون**»[2].

ويفهم من هذه الملحمة أنّ الإله "**أنيل**" أراد للأهالي الطّاعون، كونه سيفنيهم، وينقص عددهم، وبالتّالي يعمّ الهدوء، والسّكون فيتمتّع بنوم هادئ؛ فوباء الطّاعون حلّ بغضب الإله "**أنيل**"، ورُفع برضا الإله "**نمتار**".

ولم أعثر بعد البحث والتنقيب على غير هذين الملحمتين في تناول الوباء مقارنة بالشّعر عند العرب، الذي كان إنتاجهم في هذا المضمار غزيرا لذلك سأكتفي بالحديث عن بعض النماذج في كلّ عصر.

2.2 العصر الجاهلي

تحدث شعراء العصر الجاهلي عن الوباء؛ حيث رجّحت الرّوايات إصابة امرئ القيس بمرض جلدي تسبّب له في شقُوق فيقول : (المتقارب)

---

[1] محمد عبد الرحمان، الأوبئة في الملاحم القديمة، جريدة اليوم السابع الالكترونية، السبت28 مارس 2020، عبر الموقع: m.youm7.com تم الإطلاع على الموقع بتاريخ 05-04-2023 على الساعة 12:42.

[2] محمد عبد الرحمان، الأوبئة في الملاحم القديمة، الموقع السابق.

تَرَى أَثَــرَ القـَـرْحِ فِي جِـلْـدِهِ كَنَقْــشِ الــخَوَاتِمِ فِي الــجَرَجسِ[1]

ويعني هذا البيت أنّ المرض الجلدي الذي أصابه ترك العديد من التّشوهات التي تشبه نقش الختم بالشّمع أو الطين.

وتذهب بعض الرّوايات إلى أنّ امرئ القيس لم يُصب بمرض عادي، وأنّ المقصود في قصيدته هو إصابته بالطّاعون؛ لتزامن مرضه الجلدي مع طاعون "**جيستينيان**"، وكان أيّامها في القسطنطينيّة في غمرة الجائحة، التي قضت حينها على أربعين بالمائة 40% من سكّان المدينة، إذن ليس بعيدا أن يكون امرؤ القيس قد أصيب بالعدوى، وهو في المدينة، أو في القصر، وقد كانت البكتيريا في حالة حضانة، إذ تستمرّ عدّة أيام قبل أن تظهر الأعراض، فظهرت عليه الأعراض وقد قارب "**أنقرة**"، واضطر إلى النزول -كما يذكر الرّواة- عند جبل "**عسيب**" الذي فيه وافته المنية، وقد ذكر امرؤ القيس الأعراض التي أحس بها فقال : (الطويل)

وَمَا خِفتُ تَبْرِيحَ الحَيَاةِ كَمَا أَرَى تَضْيقُ ذراعِــي أَنْ أَقُومَ فَأَلْبِسَـا

فَلَو أَنَّهَـا نَفْـسٌ تَـمُوتُ جَمِيعَةً وَلَكِنَّهَـا نَفْـسٌ تُسَاقِطُ أَنْـفُـسًــا

وَبُدِّلَتْ قُـرَحًا دَامِيًا بَعْدَ صِحَّـة فَيَالَك مِنْ نِعْمَى تَحَوَّلَت أَبُـؤسًا[2]

ويتّضح من قوله: نفس تساقط أنفسًا العدوى، وسرعة الانتشار، كما في قوله: قُرحًا دامية إشارة إلى الطّاعون الذي يتسبب في قروح، وتشقّقات جلديّة تنزف بالدّم إلى درجة التّعفن والاهتراء، إضافة إلى حقيقة انتشار الطّاعون في زمن وجود امرئ القيس في القسطنطينيّة، وهما حقيقتان كافيتان لتبرئة قيصر من دم "**امرئ القيس**" الذي لجأ إليه ليزوّده بالعتاد، والجنود لينتقم من القبيلة التي قتلت أبيه لكن "**قيصر**" رفض لأنّ وضع إمبراطوريّته في تردٍّ، ومساعدة "**امرئ القيس**" لن يجن منها أي نفع، لكن ما الدّاعي في هذه الحالة لقتل قيصر لامرئ القيس، وإذا كان الأمر كذلك وأراد به أذى، لماذا يلجأ إلى سلاح بيولوجي وحيلة

[1] امرؤ القيس جندح بن حجر بن الحارث الكندي : ديوان امرئ القيس، دار المعرفة، بيروت،لبنان، 2004، ص 112.

[2] امرؤ القيس جندح بن حجر بن الحارث الكندي: ديوان امرئ القيس، ص 115.

معقّدة كتسميم "**امرئ القيس**" كما تروّج له الرّوايات، وكان الأسهل أن يأمر جنده بقتله، أوفقئ عينيه كما هو جارٍ في البلاط البيزنطي.

ونسب العرب في جاهليّتهم الطّاعون للجن، وهي عادتهم عندما يحيرهم شيء ويستصعب عليهم أمره، ومن الشّعر الجاهلي في هذا قول **أعرابيّة** قُتل ولدها فقالت تخاطب الملك الغسّاني "**الحارث بن مالك**"، بأنّها لم تكن تخشى على ولدها إلاّ من الجن (الطّاعون) وأنت أيها الملك[1] فقالت : (الوافر)

لَعَمرُكَ مَا خَشِيتُ عَلَى عُدَيّ سَيُوف بَنِي مُقيّدة الحِمَار

ولكـنّي خشيتُ على عديّ رِمَاحَ الجـــنِّ أو إيّاك حار[2]

وتقصد برماح الجنّ الطاعون فالأعرابية قُتِل ولدها من قِبل قبيلة (بني مقيدة الحمار) وهو ما لم تحسب له حسابا يوما، وكانت تخشى عليه من الملك الغساني، ومن الطّاعون الذي كنّت عليه برماح الجن.

كما بكى الشّعراء أهلهم بحرقة، وألم، وتفجّع، ولعلّ أشهر قصيدة في هذا السّياق كانت "**لأبي ذؤيب الهذلي**" وهو شاعر في قبيلة "**هذيل**"، وكان له عشرون ابنا، وبنتا، فزوّجهم فصار له ثلاث وستون ما بين تعداد الأولاد، والأحفاد، ولمّا حلّ وباء الطّاعون هلكوا جميعا في أيّام متقاربة، فقال يرثيهم : (الكامل)

أَمِنَ المَنونِ وَريبِها تَتَوَجَّعُ وَالدَهرُ لَيسَ بِمُتعبٍ مِن يَجزَعُ

قالَت أُمَيمَةُ ما لِجِسمِكَ شاحِباً مُنذُ اِبتليتَ وَمِثلُ مالِكَ يَنفَعُ

فَأَجَبتُها مَا أَنْ أُصِيبَ بِمِحْنَتِي أَحَدٌ ومِثْلُ مُصِيبَتي لا تُسمعُ

ودى بَنيَّ وَأَعقَبوا بي حسْرةً حتَّى المَمَاتَ وحَسْرَتِي مَا تُقْلَعُ

فَغَبرتُ بَعدَهُمُ بِعَيشٍ ناضبٍ وَأخالُ أَنّي لاحِقٌ مُتَتبِعُ

---

[1] أحمد محمود عبد الحميد البياتي، الطّاعون في الشـــعر الإســـلامي والعبّاسي، مجلة كلية المعارف الجامعة، المجلد32، العدد02، العراق، 2021، ص 97.

[2] المرجع نفسه، ص 99.

وَلَقَد حَرِصتُ بِأَن أُدافِعَ عَنهُمُ فَإِذا المَنِيّةُ أَقبَلَت لا تُدفَعُ

وَإِذا المَنِيَّةُ أَنشَبَت أَظفارَها أَلفَيتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنفَعُ

يقف الشّاعر في هذه الأبيات من الطّاعون موقف المتفجّع لفقد الأولاد، والأحفاد، فيستهلّها باستفهام تقريري، كون المنون والدّهر غير متعبَيْن لمن يواجههما بالجزع، ثم يصف حاله بعد فقدانه أحبّته، وقد صار جسمه شاحبا، وقواه خائرة، ويخال نفسه بهذه الحالة لاحقا لمن أهلكهم الطّاعون، فلا نجاة منه رغم حرصه على دفعه.

3.2 صدر الإسلام

ظلّت تسمية وباء الطاعون برماح الجن موظّفة لدى شعراء صدر الإسلام، قال الشّاعر: (البسيط)

"**قد أعجل القَوْم عَنْ حَاجَتهم سفرٌ من وخز جنّ بأَرْض الرّوم مَذْكور**"[1]

ويقصد بوخز الجنّ الطاعون، ولعلّ هذا تأثرًا بقول الرّسول صلى الله عليه وسلم: «**الطّاعون وخز أعدائكم من الجنّ وفي كلّ شهادة**»[2]، وفي هذا الحديث تبشير بالشّهادة لكل موتى الطّاعون.

واشتُهر الشّاعر "**شبل بن معبد البجلي**" بمرثيّة موضوعها بكاؤه أهله الذين هلكهم الطّاعون؛ حيث «**كان هذا الشّاعر في سفر، ولمّا عاد لم يجد من في الدّار إلاّ أمّه "سوداء"، فقدم شبل يدق الباب، فقالت: من هذا؟ فقال: أنا ربّ الدّار، فقالت: ما بقي في الدّار أحد فجاء النّاس يعزّونه**»[3]، فأطلق مرثيّة منها قوله : (الطويل)

[1] أبو الحسن علي اسماعيل بن سيده الموسي، المخصص، تحقيق خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، ج2، 1996، ص 54.

[2] أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصّغير وزياداته، الجزء الثاني، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 2006، ص 732.

[3] مجد الدولة أسامة بن مرشد بن منقد الكناني، المنار والديار، الجزء الثاني، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1965، ص 327.

أتى دون حُلْوِ العَيْـــــش حتى أمرَّه نُكُـوبٌ على آثارهـنّ نكُـــــوبُ
تَتَابَعْنَ في الأَحْبَابِ حتّى أَبَدْنَهُـــم فلم يبق منــهم في الدّيار عريبُ
إذا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمسِ علّلْتُ بالمنـــى وَيَأوي إليَّ الـــحزنُ حين تَغِيـبُ
ونام خليّ الـالِ عنـّي ولَمْ أَنَـــــمْ كَمَا لَمْ يَنَمْ عاري الـفناء غريب
أضـرّت به الأيّام حـــتى تركنـــــه بطول الذي عـــفين وهو رقوب
وكيف بقاء المرء من بعد أهـــــله وليس له في الغابـرين حبـــيب
وما ترك الطاعون من ذي قرابة إليـنا إذا حان الإيّاب يـــــؤوب
وكُنْـتَ أرجـى أنْ أؤُوب إلـــــيهمُ فغـالَهمُ مـن دون ذاك شَعُوب[1]

يبدو أن الشّاعر منهار القوى لا يحسن التجلّد، وكلّما منّى نفسه بالأماني، خابت فلا يبقى له سوى الاستسلام للحزن.

وراح الشعراء في صدر الإسلام يبحثون عمّا يسكن أرواحهم إزاء واقعهم الكارثي، وعن كيفيّة الانتصار على جبروت الوباء، فلم يجدوا غير طمأنة النفس بالانتصار في الآخرة، حيث ثواب الشّهادة، والخلود في دار النعيم، فيكون الوباء في الدين بذلك وعدا بالنصر، وطريقا للنجاة، الجهاد فيه بالصبر، والاحتساب، ومن ذلك قول **أحد الشعراء** واصفا ما حدث في طاعون عمواس : (الخفيف)

رُبَّ خِرقٍ مِثلِ الهِـلالِ وَبَيضـــا ء حسان بالجِزعِ مِن عَمواسِ
قَـــــد لَقوا اللَه غَيرَ باغٍ عَلَيهِم فأُهـلّوا بــغيـر دار ابتـــــئاس
وَصَـــــــبرنا حَـقا كَـــما وَعَدَ اللَهُ وَكُنّا في الصَبرِ قَومَ تآسـى[2]

[1] مجد الدولة أسامة بن مرشد بن منقد الكناني، المنار والديار، ص 327.

[2] عبد الرحمان بن عمروا الشهير بأبي زرعة الدمشقي: تاريخ أبي زرعة الدمشقي، تحقيق: شكر الله نعمة الله القوجاني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1996، ص 179.

يظهر الشّاعر في هذه الأبيات حزينا على الرّجال، والنساء ذوات العفّة، والجمال، الذين أهلكم الطّاعون، والله بابتلائه لهم،لم يكن باغيا عليهم، فمن انتقل فهو في دار لا بؤس، ولا شقاء فيها؛ أي في الجنة، ومن بقي فهو صابر محتسب يتأسّى بالآخرين.

وحاول شعراء آخرون التصبّر لكن وقع الفقد كان أشد، قالت **أعرابية** في العصر ذاته : (الرّجز)

أفردَني ممّن أحَبَّ الدّهر مِنْ سَادَة بِهِم يَقُوم الأَمر

ثـــَلاثةٌ مــثل النّجوم زهر لئـــن جَـزَعْتُ إنّـه لعذر[1]

تبدأ الشّاعرة بتصوير وحدتها بعد فقدها لمن تحب جرّاء الطّاعون، وهم ثلاثة كانوا يقومون عليها، تصفهم بالنّجوم، ثم تصف صراعها مع الجزع عليهم، إذ لم تقو على الصبر، والاحتساب، وترى نفسها معذورة في ذلك.

4.2 العصر الأموي

استمرت تسمية الطاعون برماح الجن إلى غاية العصر الأموي، قال الشّاعر "**زيد بن جندب الإيّادي**" : (الطويل)

ولولا رماحُ الجنّ ما كان هزّهم رماحُ الأعادي من فصيحٍ وأعجمِ[2]

ويؤكّد هذا البيت الرّواية القائلة بأنّ الطاعون كان سندا لبني العبّاس في قضائهم على حكم الأمويين.

وبكى الشّاعر " **العتبي القرشي**" أبناءه الستة الذين أفناهم الطّاعون الواحد تلو الآخر، فقال في موت أوّلهم : (الكامل)

---

[1] أبو الفضـل أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النسـاء، صـححه وشرحه أحمد الألفي، مطبعة مدرسـة والدة عباس الأول، القاهرة، مصر، 1908، تذكر الأبيات في مرضعين، ص 188-196.

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السـلام محمد هارون، مطبعة مصـطفى البابي الحلبي، ج6، مصر، ط2، 1967، ص 219.

أضحَت بِخدِّي للدُموعِ رُسُـومُ أسفاً علَيكَ وفي الفُؤادِ كُلــومُ

والصَّبرُ يُحمَدُ في المَصائِبِ كُلِّها إلاّ عَـلَيـكَ فـإنَّهُ مَـذمُــومُ

كَلّ لِســاني عَـن بعض ما أَجد وَذُقــتُ ثُـكلا ما ذاقَـه أَحَـد

مـا عالَجَ الحـزنَ وَالحَـرارَةَ في الأَحـشاءِ من لَم يَـمت له وَلَد[1]

ولمّا تتابع موتهم بالطّاعون قال : (الخفيف)

كـنتُ أبا سِـــتةٍ كالبـــدورِ قد فقئوا أعـينَ الحاســـــــدينا

فَمرُّوا عـلى حادثات الزمــانِ كَـمــــرِّ الــدراهِمِ بالناقــدينا

وحَسبُـــكَ من حادثٍ بامرئٍ يرى حاســـــــديه له راحمينا[2]

يبيّن الشاعر في الأبيات الأولى أثر فقد ولده الأول بترك الدموع آثارا لمجراها على خذيه من شدّة بكائه، كما يرى أنّ الصّبر محمود إلاّ في حالة الفقد، فإنّه مذموم، ولا يعرف معنى الحزن من لم يفقد ولدا.

وإذا كان الشّاعر لم يتجلّد في فقده ولده الأوّل، فكيف بحاله وقد فقدهم ستّتهم متواليين، فشبّه موتهم الواحد بعد الآخر بفقد الدّراهم، الدّرهم وراء الآخر، ووجه الشّبه هنا هو العدّ، ويكفي وصفا لحالة الشّاعر الكارثيّة أن يرى حاسديه أيّام حياة أبنائه قد تحوّلوا إلى مشفقين عليه بعد فقدهم.

وقرن الشّاعر "**حمزة بن بيض**" الوباء باستجابة الله لدعائه، عندما اضطرّه الليل وهو في سفرة للاستراحة في قرية عامرة كثيرة الأهل، والبقر، والمواشي، كثيرة الزرع، فلم يكرموه، ولم يفعلوا معه خيرا، فدعا عليهم قائلا : (الكامل)

[1] عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، دون طبعة، 2008، ص 235.
[2] المرجع نفسه، ص 236.

لعـنَ الإلهُ قـريَّةً يمّمتهـــا فأضــافني ليلاً إلـــيها المغربُ

الزارعـينَ وليس لي زرعٌ بـها والحــالبينَ وليس لي ما أحلبُ

فلعلَّ ذاك الزرعَ يردَى أهلهُ ولعل ذاك الـشـاءَ يوما يجربُ

ولعلَّ طاعونا يُصيبُ عجولها ويصيبُ ساكنها الزمان فتخرب

فلم يـمرّ بتلك القرية سنة حتى أصابهم الطّاعون فأباد أهلها وخربت فعلا.كما وظّف "**الأخطل الثعلبي**" الوباء في معرض الفخر بنفسه وشعره فقال : (الوافر)

فإن تـــك زقّ زامـلـــة فإني أنا الطّاعـــون ليـــس لــه دواء[1]

يتحدى الشّاعر من خلال هذا البيت غريميه "**جرير بن عطيّة**"، و"**الفرزدق**" فشبّه نفسه بالطّاعون

5.2 العصر العباسي

ظلّ الشعراء يكنّون الطّاعون في العصر العباسي برماح الجن، قال الشاعر "**أبو العبّاس العمّاني**" للخليفة هارون الرّشيد : (الرّجز)

قد أذهب الله رماح الجنّ وأذهب التعليق والتجنّي[2]

ويقصد بالتعليق والتجنّي حكم الأمويين الظالم، وما كانوا يفعلونه من ظلم النّاس، ومطالبتهم بالأموال، وتعذيب العمّال بالتعليق.

ورثى "**عركشة بن أربد العبسي**" بنيه الذين أفناهم الطّاعون بعده، وكان قد خرج إلى الشّام في قصيدة طويلة منها : (الطويل)

سقى الله أجـداثًا ورائي تـركتها بـحـاضـر قنـسرين من سبل القـطر

مضوا لا يريدون الـرواح، وغالهم من الـدّهـر أسـباب جريْن على قـدر

لعمري لقد وارت وضمّت قبورهم أكـفًّا شـــداد القبـــض بالأسل السُّمر

[1] مهدي محمد ناصر الدين، ديوان الأخطل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1994، ص 19.

[2] خير الدين بن محمود الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، القاهرة، مصر، ط15، 2002، ص 123.

ولو يستطيعون الرّواح تروّحوا معي، وغدوا في المصبحين على ظهر
غطارفة زهر مضوا لسبيلهم فلهفي على تلك الغطارفة الزّهر
أبعد بني الدّهر أرجو غضارة من العيش أو آسى لما فات من عمري؟
وأبدى لي الشحناء من كان مُخفيا عداوته لمّا تغيّب في القبر[1]

يبكي الشّاعر في هذه الأبيات أبناءه الذين فتك بهم الطّاعون، وكانوا من خيرة الفرسان بأسا، وقوة، وبهلاكهم اجترأ عليه أعداؤه، ليكون فقدهم أشد مرارة فلم يحلُ بعدهم عيش، ولا تلذذ بأي متاع في الدنيا.

وروى "**الأصمعي**" عن هروب أحدهم من الطّاعون الذي اجتاح البصرة، فركب على حمار ومضى مع أهله فسمع أحد الشّعراء يقول : (الرّجز)

لن يُسبق الله على حمار ولا على ذي ميعة مطّار
أو يأتي الحتف على مقدار قد يصبح الله أمام السّاري[2]

يعني البيتان أنّ الله إذا قدّر أمرا فلا نجاة منه، ومهما بلغت وسائل الفرار من قوّة، أو سرعة فلن تضاه قوّة الله وسرعته في قضاء أمره، فماذا لو كانت وسيلة الفرار حمارا، فالشّاعر يستهزئ من محاولة الفرار الفاشلة.

وحظيت الفكاهة بعناية كبيرة من الشّعراء في العصر العبّاسي بغرض الهجاء، فيقال: "أنّ رجلا" اسمه "**صالح الأفقم**" عُرف بأنّه ما صحب رجلا إلاّ ومات، أو قُتِل، أو سقطت منزلته فقال أحدهم مخاطبا الخليفة بأنّه وجد الحل في القضاء على أعداء الإسلام : (الكامل)

قُل لِلأَمينِ أَمينِ آلِ مُحَمَّد قَولَ اِمرِئٍ شَفِقٍ عَلَيهِ محام
إيّاك أن تغترّ عنك صنيعة في صالِحِ اِبنِ عَطِيَّةَ الحَجّام

[1] عمر بن أحمد بن هبة الله بن كمال الدين بن العديم، بغية الطالب في تاريخ حلب، الجزء الأول تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، دون طبعة، 2002، ص 138.
[2] عمر بن أحمد بن هبة الله بن كمال الدين بن العديم، بغية الطالب في تاريخ حلب، ص 140.

لَيـسَ الصَنائِعُ عِندَهُ بِصَنَائِعٍ لَكِنـَهُنَّ طَوائِـلُ الإســـــلام

اِضرِب بِهِ نـَحرَ الـعَدُوِّ فَإِنَّهُ جَيـشٌ مِنَ الطاعونِ والبرسـام[1]

و قد بالغ الشّاعر في سخريّته فجعل شؤم الرّجل طاعونا يمحق الأممَ، فلو وضع بين جيش الرّوم يفنيهم.

وأراد "**أبو تمّام**" مدح القائد "**الأفشين**"، وتبيان مدى إقدامه، وشجاعته، وقوّته في الحرب فقال : (الكامل)

أوسعتَهم ضــربا تُهَدُّ به الكـلى ويخِفّ منه المرء وهو ركين.

ضربا كأشداق المخاض وتحتــه طعــنٌ كأن وَجــاءَه طاعون

بأسٌ تُفلّ به الصّفوف وتحتــه رأي تُفلّ به العـقول رزين[2]

وهنا يشبّه "**أبو تمّام**" طعن "**الأفشين**" أعداءه بالطّاعون الذي لا شفاء منه. وجاء ذكر الطّاعون في المدائح النبويّة، فقال "**بن داود الموصلي**" : (البسيط)

وللمـدينة لـمّا أن أقـام بـــهـا حصن وأمـن من الآفات والندم

ولم يكن يدخل الدّجال ساحـتها ولا يـمـرّ بها الطّاعون في النسم[3]

تشرّفت المدينة بإقامة الرسول -صلى الله عليه وسلم- فيها وحلّت بوجوده البركة بأن سلمت من الدجّال، والآفات، والطّاعون.

ومدح الشّاعر "**علي بن الحسن بن الفضل البغدادي**" الخليفة العباسي "**القائم بأمر الله**" هجاءً للخليفة الفاطمي "**المستنصر بالله**" الذي كان في حرب ضدّ العبّاسيين قائلا : (الطويل).

---

[1] عبد الكريم الأشتر، شعر دعبل بن علي الخزاعي، مجتمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، ،ط2، 1983، ص 243-244.

[2] أبو تمام، شرح ديوان أبي تمّام، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه راجي الأسمر، الجزء الثاني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،ط2، 1994، ص 162.

[3] الهواري غزالي، الطاعون: الحياة في موت مشاهدة، قراءة في الشعر العربي القديم، مجلة "نزوى"، العدد 103، عمان، الأردن، 2020، ص 22.

وقـــد عـــلِم المـــصريُّ أنَّ جنودَه سِنُو يوســـفٍ منها وطاعونُ عمْواسِ
أحاطتْ به حـــتَّى اســـتراب بنفسهِ وأوجـــــس فيها خِيـفةً أيَّ إيـجاسِ
قصـورٌ على الفسطاط أضحتْ كأنّها قـفارُ ربـــوعٍ بالـــسَّـــماوة أدراسِ
سـهـــامُ أمـيرِ المؤمنـين مَكايـــدٌ ورُبَّ سهامٍ طـرن مـن غير أقـواسِ[1]

يقدّم الشّاعر في هذه الأبيات صورة عن النتيجة التي خلّفها الخليفة "**القائم بأمر الله**" في أعدائه فأحدث ضررا بالغا بهم كما فعل طاعون عمواس.

وذكر الشّاعر ذاته "الطّاعون" في معرض هجاء "**أحمد بن دارست الأهوازي**"، وهو فارسي كان قد وزّره "**القائم بأمر الله**" ثم خلعه فيقول فيه:(الكامل)

أوَ لم تـكونوا بـــيـــتَ جِـــــوارَنا فـــقَرَيتـكُم بالماء في كانـونِ
فـــارضـوا بأسـقيةِ الزلال قـرىً لـكم ودعـــوا الجِفـانَ فإنها كجفـونى
لا كان زادٌ فـــــي وعـائـك إنه سبـبٌ لطاعمه من الطّاعـونِ[2]

وفي هذه الأبيات تقليل من الشأن، ودعوة لعدم التّطلع إلى رقي لا يناسب مكانة المهجو الوضيعة، وكلّ مستزيد منه فكأنّما طلب الزاد من الطّاعون.

6.2.عصر الضعف والانحطاط

وصف الشّاعر "**إبراهيم بن علي المعمار**" وباء الطّاعون بأنّه أقبح داء؛ إذ توفي به فقال: (الرّمل)

قُبّح الطّاعـون داءً فقدت فيه الأحبّة
يبعث الأنفس فيه كلّ إنســان بحبّه[3]

[1] المرجع نفسه، ص 22.
[2] المرجع نفسه، ص 23.
[3] يوسف بن تغري بردي جمال الدين، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثّقافة والإرشاد القومي، الجزء العاشر، دار الكتب، مصر، دون طبعة، 2016، ص 212.

صوّر الشّاعر في هذين البيتين الطّاعون عدوًّا أهلك أحبّته كما، وظّف الاستعارة ليجعل من الطّاعون تاجرا مهلكا يبيع الأنفس، ولا يريد المال، بل يريد تلك الأنفس بأجور زهيدة فباعها كلّ إنسان بحبّه.

وأرّخ الشّاعر "**بدر الدين الحسن بن حبيب الحلبي**" تجربته مع الطّاعون الذي فتك به فصوّر سطوته على النّاس وطغيانه قائلا : (الخفيف)

إن هـــذا الطاعـون يفتك في العالم فتــك امـرئ ظـــلوم حـقــود

ويــطـوف البـلد شرقاً وغــرباً ويسـرق العــباد نــحــو اللّحـود

قد أباح الــدّما وحـرم جمـع الشّـ ـمـــل قـــهراً وحلّ نظم العقود

كم طوى النـــــشر من أخ عن أخيه وســـــبا عـــقـل والـــد بوليـد

أيتـــمَ الطـفـلَ أنــكلَ الأمَّ أبكى الـ ـعـين أجرى الدموع فـوق الخدود

بـسـهام يــرمـي الأنـام خــفّيا ت تـــشـقّ القلوب قبـل الجلـود

كما قــلتُ زدتَ في النقــص أقـصِرْ وتـلبــثَ يـــقول هل من مزيــد[1]

تُظهر هذه الأبيات وباء الطّاعون بصورة السّلطان الظّالم الذي يحلل، ويحرّم كما يشاء دون رحمة بالنّاس فأفقدهم تلذذهم بالحياة الدنيا، وأصبحوا بين فاقد لقريب، أوولد أوأخ...، وبين فاقد عقله من هول ما يقع عليهم.

ويؤكدّ الشّاعر "**الشّاب الظريف**" انتصار الوباء على ضحاياه مهما جاهدوا واجتهدوا فيقول لأحدهم : (الطويل)

أراك تشـمّ الخـــلَّ في زمـن الوبا فخلّ حـديثًا للأطـباء ياخليّ

فإنّ يك بالطّاعون ربُّك قد قضى تموت إذًا رغمًا وأنفُكَ في الخلّ[2]

[1] أحمد بن علي، تقي الدين المقريزي، الســـلوك لمعرفة دول الملوك،الجزء الرابع، تحقيق: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط4، 1997، ص 92.

[2] الهواري غزالي، الطاعون: الحياة في موت مشاهدة، قراءة في الشعر العربي القديم، ص 25.

ولعلّ هذا البيت يؤرّخ لكيفية التّعامل مع الوباء، وذلك باستعمال الخلّ لكونه يقضي على البكتيريا، أو الجراثيم، وهي ثقافة مازالت سائدة ليومنا هذا؛ من خلال غسل ربّات البيوت الحريصات على النّظافة الفواكه بالخلّ، وكذا تنظيف الأرضيّات به.

ويبدو الشّاعر "**نقولا الترك**" خبيرًا بصيرًا بالوباء فيقول لسائل توجه إليه طالبًا النّصيحة والإرشاد : (الكامل)

يا طـالباً حقـيقــة الأنــباء والــحكم في مـاهــيّـة الـوباء

إن الــوبا ســميــّـةٌ دَبّاَقــهْ لصَّــاقــةٌ نــفّــاذةٌ خــرّاقَــهْ

يسيــح في الأبدان سيْح الـدّهنِ إذا سرى فـي الصّـوف أو فـي القطـنِ

وشــان هــذي العلــة العضّالهْ والآفــة الــمهلكــة القتــاّلـهْ

إن تــعدّى الأبدان عند اللّمـسِ وليــس فــيـما قـلتــهُ من لبسِ[1]

ويصف الشّاعر هنا وباء الطّاعون بأنّه يسري في الجسم فيلتصق به، ولا يفارقه، ولا يبرح النّفس، وبأنّه سريع العدوى: فينتقل بمجرد اللّمس.

وأكّد الشّاعر ذاته على ضرورة التّباعد كحلّ للطّاعون بوصفه وباء لا حلّ له فقال:(الكامل)

وحال هــذا الــدّاء فيه الكلّ حاروا وعــــلاجــه قد كلّوا.

فاستجمعوا الرأي به واعتمدوا إن حلّ يوما في مكان بعدوا[2]

ويقصد بالبعد هنا التّباعد، وعدم المخالطة، وليس البعد عن مكان الوباء.

وذهب "**نقولا**" إلى تقديم الأغذية المساعدة على التّعايش مع الوباء فقال مراسلا صديقه: (البسيط)

---

[1] نقولا الأسطنبولي، نقولا بن يوسف الترك، ديوان الترك، ضبط نصوصه ووضع مقدمته وفهارسه فؤاد إفرام البستاني، وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، مديرية الآثار، بيروت، لبنان، دون طبعة، 1949، ص 54.

[2] علي الدرويش، ديوان الشعر، نسخة قديمة غير مطبوعة مصوّرة، وقفية الأمير غازي للفكر القرآني، https://www.quranichought.com.

ومكـيّف التنباك خُصّ بجلّق ست الورى والـمدن أشرف بلدة.

فلذاك جيتــك راجيا جـدواك في رطلين منه من عظيم القيــمة

وبـمرطبان من مربّى الكابلي أو جنـزبـيل خالـص في الطّــيبة[1]

يطلب الشّاعر من صديقه إرسال رطلين من "**الجلق**"؛ «**وهو حبّ كالقمح ينبت في اليمن**»[2]، ومربى الكابلي المصنوعة من الهليلج الكابلي «**وهو نوع من الشّجر ينبت في كابل، والهند، والصين، ومصر، ينمو في الأماكن الشبه رطبة الحارّة، يستعمل منقوعا، ومسحوقا، أو كمّادات، موادة النعالة: أرجوانيين Arjunine والتيرمينالين Terminaline**»[3].

ويعرض في موضع آخر بعض أعراض الطاعون فيقول : (الرّجز)

وبعد ما يعدى ويسرى في البَدَنْ ويـمخض الأخلاط إمخــاض اللّبن

يبان في الجســـم إذا ما اقشـعرْ من مــوضـع مستــرقــق أو أكـثرْ

والـنـفـذ مــنـهُ رُبَ فـــي الإباط يبـــدو عقـيب المخض والإخـباطِ

أو رُبَ يـــبدو خــلف أذن الشّاكي أو فـــي مـــرقَات مـــن الأوراكِ

فإن بدت نـفـــذتـهُ مــحــمـرَّ فأْمَنْ وخـــفـــها أن بدت مُخْضرَّهْ[4]

ومن أعراضه من خلال هذه الأبيات القشعريرة، واخضرار اللون، وألم تحت الإبط، وخلف الأذن، وفي الرّكبتين.كما بكى الشّاعر "**نقولا الترك**" "**غنطوس يمين الترك**" فقال راثيا : (الكامل)

---

[1] الموقع نفسه.

[2] قاموس المعاني، باب "جلق"، ص 322.

مجموعة من المؤلفين، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر،ط4، 2004، ص 131.

[3] لحسن عقيل، معجم الأعشاب المصور، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان،ط1، 2003، ص 534.

[4] نقولا الأسطنبولي، نقولا بن يوسف الترك، ديوان الترك، ص 54.

مات ابن يـمين الذي ذاب الحشا أســـــفا عليه منذ توسـد في الثـرى

تـبا لها سـنـــة الــوبا أرخت كم فـــيها على توما بكـــــيت تحسرا[1]

يعرب الشّاعر من خلال هذين البيتين عن أسفه لفقد مرثيه، وكذلك كلّ الذين أهلكم الطّاعون، لكن مقارنة برثاء من فقدوا فلذات أكبادهم يعد شعر "**نقولا**" مجاملة للحكام، أو فاتر العاطفة، ولا يرتقي إلى رثاء من فقدوا أحبّتهم، حتى ولو كان صادق العاطفة، لبعد المرثي قرابة عن الشّاعر.

ويدعو الشّاعر "**إبراهيم المعمار**" أولئك الذين تمنّوا الموت قبل تفشي الطّاعون إلى اغتنام الفرصة لتحقيق رغبتهم فيقول : (السريع)

يا من تمنّى الموت نـــم واغتـــنم هـــذا أوان الموت ما فاتا

قد رخص الموت عـــلى أهلـــه ومات مـــن لا عمره ماتا[2]

يتّضح من خلال البيتين أن الموت أصبح رخيصا على أهله؛ فالطّاعون أهلك كلّ النّاس فلم يعد المرء يُعظّم الموت، ويحزن على الميت، ويجدر بالذّكر أنّ هذا الشّاعر كان ظريفا ماجنا، لكن الوباء، وما يوقعه على البشر أسكن الحزن، والألم في قلبه.

وبيّن "**ابن الوردي**" في مرثيته الشهيرة التي رثى فيها نفسه قبل موته بالطّاعون أنّه عقاب إلهي فيقول : (المتقارب)

ألا إن الــوبا قـــد ســـبا وقـد كان يرسل طوفانه

فلا عاصم اليوم من أمــره سوى رحمة الله سبحانه[3]

يظهر الطّاعون في هذين البيتين، و كأنه طوفان نوح عليه السّلام به نُقِّيَت الأرض، كما أظهر الشّاعر في موضع آخر التسليم، والانقياد لأمر الله تعالى، فقال:(الوافر)

---

[1] المرجع نفسه، ص 49.

[2] صــلاح الدين خليل بن أبيك الصــفدي، أعيان العصر ــ وأعوان النصر ــالجزء الأول ، تحقيق: علي أبو زيد و آخرون، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت، لبنان، 1998، ص 147.

[3] ابن الوردي، ديوان ابن الوردي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 2006، ص 91.

ولست أخاف طاعونا كغـيري فما هي إلاّ إحدى الحسنييـن

فإن متُّ استرحت من الأعادي وإن عشت اشتفت أذني وعيني[1]

يصف الشّاعر حالته المتقدمة؛ إذ وصل الوباء إلى أذنه، وعينه، ويُبدي تقبّلا في حال نجاته، أو موته، ففي كلتيهما راحة له.

ونجده في موضع آخر يصف حالة الفوضى، والاضطراب باجتياح وباء الطاعون، ويقارنها بما قبلها من ثبات، واستقرار، فقال : (المتقارب)

فـــــهذا يوصِّي بـأولادِهِ وهـــــذا يـــودِّعُ جـيرانَهُ

وهـــــذا يهيِّئُ أشـــغـالَهُ وهـــذا يُـجـهِّزُ أكـــفانَهُ

وهـــــذا يصـالحُ أعداءَهُ وهـــذا يلاطـف إخوانَـــهُ

وهـــذا يوسِّـــعُ إنفاقَـــهُ وهـذا يـخالِلُ مَـــنْ خانَـهُ

وهـــذا يحبّـــــِسُ أملاكَهُ وهذا يـــحـــرِّرُ غِلْـمانَـهُ

وهـــذا يُغـــيِّـــــرُ أخلاقَـهُ وهـــــذا يـــعيّـرِ ميـــزانَهُ[2]

ويتّضح من هذه الأبيات إدبار النّاس عن الدنيا، وإقبالهم على الآخرة؛ إذ لا مفرّ من هلاك محتوم، فتفرّقت مقاصد النّاس بين من يوصي، ويودّع، وبين من يُصفّي أشغاله، وأمواله، وآخر يعدّ أكفانه، وآخر يغيّر أخلاقه...

وحقّق الشّاعر "**على الدرويش**" السّبق شعرا في رصد كيفية التّعامل مع الوباء اجتماعيّا فقال : (الطويل)

أدلّك في هـذا الـوباء الـمغلّـب دلالة نصـح أخلـصت عـن مـجرّب

إذا شاء ربي واهـتديت لـها فـقـد غنيـت إذا لازمـتـها عـــن مـطبّـب

فـــكُلْ مرةً في الـيـوم ما تشـتهـي ولا تـخـلط ولا تشـبع بتقليل مشرب

[1] المرجع نفسه، ص 156.

[2] المرجع نفسه، ص 31.

وفاكهة دع نيَّها كل ما استــتوى وحاذر عـليـها الشـــرب واصـــغ
وعاهد بمسح الخل والورد واعتكف عن الغيظ والقيظ وعـن كل متعــب
ولا تمش في ريـح وشمس ولا تـطل وإن ألـزمَتْ في الصبح والعصر فاركب
وإياك قبـل الهضم نومَك واجتـنب مـخالطة في الصـحـو نـوع تـجنّـب
مزاحـــمة الأنفاس تفسد بـعضــها وهل تـــقـــس النـيـران غـير المقرب
وكفّ الحواس الخمس عما تمجُّــه وداوم بـــغسـل فـاتر في مـحـــجّب
ولا تـبــق إلّا فـي أمــاكن نزهةٍ مـنـزّهـة عـــن مكرهات ومـتـرب[1]

ويمكن تلخيص ما ورد في هذه الأبيات من نصائح فيما يلي: احرص على شرب الماء، وعاهد بأكل الفاكهة المغسولة بالخلّ وماء الورد، وأكثر من الاغتسال، ولا تعش إلاّ في أماكن نزهة هوائها منعش، ولا تُطِلْ المشي في الريح أو الشّمس، ولا تنم إلاّ وبطنك خفيفة من الطّعام، ولا تتجوّل في الأماكن المزدحمة فتختلط الأنفاس، وتنتقل العدوى، وابق في منزلك فنار الوباء لا تلمس إلاّ من اقترب منها.

ونستنتج من هذه الوصايا أنّها تتطابق مع الاحترازات التي توصّل إليها الطبّ الحديث في كيفيّة التّعامل مع الوباء بعد أبحاث معمّقة، وتحاليل في مخابر مختلفة؛ إذ الوباء عبارة عن جراثيم، وميكروبات مجهريّة تنتشر في الهواء فتفسده، وكلّ من يتواجد في الأوساط الموبوءة، هو عرضة للإصابة، فالأولى النّظافة، والحجر، لذلك يعتبر لهذا الشّاعر فضل السّبق الذي يجب الإشارة إليه، خاصة وأنّه عايش الوباء وسلم منه، وعاش بعده مدّة طويلة الأمر الذي يؤكد انتفاعه بوصاياه.

ولم أقف بعد البحث والتنقيب على كيفية عمل مربى الكابلي إلاّ عند "**شهاب الدين النويري**" الذي أوردها كالتالي: «**يؤخذ من الإهليلج الكابلي الغليظ، ويُصَبّ عليه من الماء ما نغيّره، ويُلقى فيه من رماد البلوط ما يكفيه، ويُترك ثلاثة أيّام، ويغيّر عليه الماء والرّملا:**

[1] علي الدرويش، ديوان الشعر، الموقع السابق.

يُفعل به ذلك أربع مرّات إلى تمام اثني عشر يوما، ثم يغسل بالماء العذب ثلاث مرات، ثم يطبخ بماء الشّعير طبخا ليّنا، ويُجرح منه، ويمسح مسحًا رفيعا لئلاَ ينسلخ، ثمّ تُثقب كلّ إهليلجة بالإبرة في عشرة مواضع، ثمّ يجعل في برنيّة خضراء، ويلقي عليه من عسل النّحل ما يغمره بعد أن تُنزع رغوته، ويُغسل، ظاهر الإناء مرارا على ما تقدّم، وذلك بعد أن تُلقى عليه الأفاويه في خرقة على الرّسم»[1].

ويدلّ ما تقدّم على حرص العرب في الاستشفاء، والاستطباب بالأعشاب، ولعلّ الفائدة العظيمة لهذا المربى تبرّر الكيفيّة المعقّدة المتطلّبة لكل هذا الجهد لصنعه.

وذهب "**ابن عربي**" إلى عد الطّاعون لا يفصله عن الوجود بل هو اتّصال، وتواصل معه فيقول : (البسيط)

تنازعت فيّ أضداد فقـلت لها إنّ الحـــياة لفي طاعـــون عمواس

أحياهم الله في موت مشاهدة ما في الحياة التي في الموت من باس[2]

ويجدر بالذكر أنّ "**ابن عربي**" مات بالطّاعون في حلب، ويورد في هذين البيتين فلسفة حياتيّة مفادها تطهير الوباء للمرء من الذنوب، والخطايا ونيل الحياة الخالدة.

7.2. العصر الحديث

انتشر وباء "**الكوليرا**" في مدينة رشيد المصريّة سنة 1895 فثارت عاطفة الشّاعر "**علي الجارم**" وكتب قصيدة بعنوان الوباء والتي منها قوله : (الخفيف)

رُبَّ طفـــلٍ تركتَ مِـنْ غَيْرِ ثَدْيٍ يَضْـرِبُ الأَرْضَ ضَجـّةً وعَوِيـلَا!

وَفَتاةٍ طـَرَقْتَها لَـيْـلة الـــعـرْ سِ وَقَـبْلَ الْحَلِـيلِ كُنـْتَ الْحَلِـيلَا

كـحَّلُوا جَفْنَها فَكَحَّـلْتَ فِـــيها كُـلَّ جَفـْنٍ أَســـًى وَسُهْدًا طَوِيلَا

[1] شـــهاب الدين النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب الجزء 12، تحقيق: محمد فتيحة وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 165.

[2] شهاب الدين النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، ص 23.

خضّبتْها يَدُ الْمَــوَاشِطِ صُبــْحًا فَــمَــحاهُ الْمُـطَــهِّــرُونَ أَصِيلَا

ما رَحمــتَ الْعُيُـونَ تِلْكَ اللّـَوَاتِـي تَــرَكَــتْ كـلَّ عـاشِــقٍ مَذْهُولا[1]

يصوّر الشّاعر في هذه الأبيات بشاعة الوباء وعمق أثره فهو كالسّفاح الشّرير الذي يقتل ضحاياه دون رحمة، ولا يهتم لما سيخلّفه فقدهم في الأحياء، فذكر الشّاعر الطفل الرضيع الجائع، الذي يملأ الأجواء صراخًا، وعويلاً لفقده أمّه المرضعة، كما ذكر العروس التي اكتحلت، وزيّنتها المواشط، وخضّبت يديها بالحناء للقاء حليلها (زوجها)، لكنّها جرّاء الوباء تُحرم من هذا الحليل الذي يهلكه الوباء، فتبقى بعده تصارع الأسى، والسهد.

وأسقطت الشاعرة "**نازك الملائكة**" مشاعرها وأحاسيسها نحو مصر، محاولة التعبير عن واقع أليم، بعاطفة حزينة في قصيدتها الشهيرة "الكوليرا"، والتي كتبتها سنة 1947 وفيها تقول:(المتدارك)

-1-

سكَن الليلُ

أصغِ إلى وَقْع صَدَى الأنَّاتْ

في عُمْق الظلمةِ، تحتَ الصمتِ، على الأمواتْ

صَرخَاتٌ تعلو، تضطربُ

حزنٌ يتدفقُ، يلتهبُ

يتعثَّر فيه صَدى الآهاتْ

في كلّ فؤادٍ غليانُ

في الكوخِ الساكنِ أحزانُ

في كل مكانٍ روحٌ تصرخُ في الظُلُماتْ

[1] علي الجارم، ديوان علي الجارم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، 2012، ص 592/591.

في كلِّ مكانٍ يبكي صوتْ

هذا ما قد مَزّقَهُ الموتْ

الموتُ الموتُ الموتْ

يا حُزْنَ النيلِ الصارخِ مما فعلَ الموتْ

-5-

طَلَع الفجرُ

أصغِ إلى وَقْع خُطَى الماشينْ

في صمتِ الفجْر، أصِخْ، انظُرْ ركبَ الباكين

عشرةُ أمواتٍ، عشرونا

لا تُحْصِ أصِخْ للباكينا

اسمعْ صوتَ الطِّفْل المسكين

مَوْتَى، مَوْتَى، ضاعَ العددُ

مَوْتَى، موتَى، لم يَبْقَ غَدُ

في كلِّ مكانٍ جَسَدٌ يندُبُه محزونْ

لا لحظَةَ إخلادٍ لا صَمْتْ

هذا ما فعلتْ كفُّ الموتْ

الموتُ الموتُ الموتْ[1]

عبّرت الشّاعرة في المقطع الأول عن حال البيوت المسكونة بالفقد، والشجن، وتكرّرت كلمة الموت أكثر من مرّة في دلالة مفادها سيطرة الموت على الحياة، إضافة إلى الصّرخات، والأحزان،

[1] نازك الملائكة، شظايا ورماد، المجلد02، دار العودة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1997، ص 138.

التي يسببها هذا المرض، ورغم ذلك اللّيل ساكن من آثار رحيل الأحباب، فحلّ الصّمت مكان الضجيج.

ثم وصفت في المقطع الثاني حال البلاد بعد أن تفشى فيها الوباء، فبدأت بقولها : (طلع الفجر) دلالة على حالة اليأس واللا أمل، كما عبّرت عن درجة الدّمار العالية من خلال أعداد الموتى المزايدة، دون تفرقة بين الصغير، والكبير ممّا قضى على الأمل في المستقبل، والغد المشرق.

وحاكت الشّاعرة النفس البشريّة، وخباياها، فوصفت سوداويّة الوباء بجعله يتوازى مع حتميّة الموت كون الوباء هو إعدام علني لمظاهر الحياة، والنّاس كافّة، فحاولت محاربة لعنته بكلماتها واصفة حال المجتمع، والنّاس إثر حدوثه، فصدحت بتعاطفها الكبير مع مصر، وبألمها ووجعها جرّاء هذا المشهد القاسي الذي خلّفه الوباء.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه القصيدة تؤرّخ -عند الكثير من النقاد -لظهور الشعر الحرّ، أو شعر التفعيلة في العراق؛ حيث أثبتت الشّاعرة، والنّاقدة نازك الملائكة قدرتها الشّعرية، والبلاغية في قصيدة "الكوليرا" التي أدمت القلوب، وخرج بها الشّعر من نظامه التقليدي ذي الشطرين، إلى نظام السطر، والتفعيلة، وأصبح يحاكي الواقع بطريقة سلسة، ومرنة، ودون قيد.

وتمثّل الوباء في العصر الحديث مع الشّاعرة الفلسطينية "**فدوى طوقان**" تمثلا رمزيا فكتبت قصيدتها "**الطّاعون**" سنة 1967، ونشرتها على صفحات جريدة "الاتحاد" تقول فيها: (الكامل)

يوم فشا الطّاعون في مدينتي

خرجت للعراء

مفتوحة الصّدر إلى السّماء

أهْيَقُ من قرارة الأحزان بالرّياح

هُبّي وسوقي نحونا السّحاب يا رياح

وأنزلي الأمطار[1]

تجعل الشّاعرة "**الطّاعون**" يحضر في قصيدتها بوصفه رمزا للانكسار الجماعي جرّاء الهزيمة والاحتلال، حين يصبح الطّاعون المقابل الوبائي للعدوّ، على مستوى الفتك بالشّعوب، ووأدها.

واختارت الشّاعرة السّورية "**غادة السّمان**" في العصر الحديث الوباء للحديث عن "**بيروت**" مشبّهة الحرب الأهلية بالطّاعون، فتقول في قصيدة كتبتها سنة 1986 عنوانها "**أشهد أنّ زمنك سيأتي**" : (الرّجز)

أسبح عكس التيار

خارج قطيع الأسماك المذعورة لأعود إليك

وها أنا من جديد هناك

في بيروت المكفّنة بفلاشات عدسات التصوير

وروائح إحراق النفايات والجثث

وظلال الحرائق على أعمدة البكاء

كمدينة ضربها الطاعون

طالعة من أساطير اللّعنة

وأكمام العصور المنقرضة[2].

[1] فدوى طوقان، الأعمار الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص 372.

[2] مخلص الصغير، شاعرات عربيات واجهن الوباء بالقصيدة، جريدة العرب، إنجلترا، العدد11656، بتاريخ 24-03-2020، ص 15.

ترى الشّاعرة نفسها رغم خوف الجميع الذين تشبّههم بالأسماك المذعورة، متفائلة بزوال مظاهر الخراب التي تركتها الحرب الأهليّة في المدينة، وكأنّ طاعونا حلّ بها فلم يُبق ولم يذر، وهذا ما تؤكّده في البيتين التاليين من القصيدة نفسها : (المتدارك)

سأظل أحبك عكس الرّيح

ريثما يطلق الموت سراحي[1]

وجسدت الشّاعرتان "**فدوى طوقان**" و"**غادة السمان**" من خلال الوباء ظاهرة الالتزام بوصفها ظاهرة أدبية يشارك فيها الأديب هموم شعبه في وطنه الصّغير، أو الكبير (الأمّة العربية)، فيُحَمِّل نفسه مسؤوليّة عرض الواقع بفظاعته تطلّعا لواقع أفضل، وحياة إنسانيّة كريمة، فمثّلت الشّاعرة الفلسطينية "**فدوى طوقان**" فلسطين، في حين مثّلت الشّاعرة السورية "**غادة السمان**" **النزعة القوميّة** بحديثها عن مدينة بيروت اللبنانيّة التي هي جزء من وطنها العربيّ الكبير.

8.2.العصر المعاصر

صوّر الشّاعر التونسي "**عبد العزيز همّامي**" في العصر المعاصر وباء فيروس "**كورونا**" في قصيدة بعنوان "**كورونا**" فساير فيها الأحداث، وكشف عن تداعيات الوباء قائلا:(المتدارك)

النزعة الوطنيّة بحديثها عن وطنها الصغير

العالَم مَوْبُوءٌ

وهـواءُ الشّارِعِ يَـجْرح

كُورُونَا العَصر تُبَاغتُنا

وَتُعَرْبِدُ تَحْـتَ مَلابسنا

فَاحْذَرْ

لَمْ يَظْهَرْ لِلعَيْـنِ

[1] المرجع نفسه، ص 15.

وَلَمْ نَـدْرِ مَتَى أَمْسَى

وَمَتَى أَصْبَحْ

وَحْشٌ يَتَرَبّص بالمنعطفات

مخالبه لا تصفح

حرب في العتمة دامية، وخناجرها تذبح[1]

عبّر الشّاعر من خلال هذه الأبيات عن عالمية الوباء الذي طال كلّ شبر في الأرض، وعن راهنيّته بقوله "كورونا العصر"، كما عبّر عن سرعة انتشاره في الهواء، وانتقاله بين النّاس فيُحذّر الشّاعر من أيّ مظهر من مظاهر التّلامس؛ فالوباء مترصّد مترقب لأيّ حركة لكي يباغث الأبدان، ويسكنها، ومكان ترقبه هو الملابس، في إشارة من الشّاعر لقرب الوباء الشّديد من النّاس.

كما تحدّث الشّاعر عن حيرة العلماء في نشأة الوباء لأنّه لم يُر بالعين المجرّدة؛ باعتباره من فصيلة الفيروسات، ولم يتم اكتشافه إلا بعد انتشاره في العالم، كما شبّه الشّاعر الفيروس بالوحش ذي المخالب القاطعة الذي، لا يتساهل مع أيّ كان، وشبّه وقائع الحرب معه كأنّها تدور في الظّلام، فلا يتجسّد العدوّ للمحارب، لذلك هي محسومة لصالح الوباء.

وعنون أحدهم قصيدته عن كورونا بـ "**القاتل المتهور**" فيقول : (الكامل)

لا شيء غير الصّمت يملأ ليلتي

وتساؤل مرُّ المذاقة يكبر!

أتطول رحلتنا لغير نهاية

ويعيث فينا القاتل المتهور؟[2]

[1] سـهيلة بوسـاحة، تداعيات جائحة كورونا على الأدب –مقاربة موضـوعاتية في قصـيدة "كورونا" لعبد العزيز الهمامي-، مجلة التواصل، العدد28، الجزائر، 2022، ص 28.

[2] هاني إسماعيل معنان، عماد عبد الباقي علي، تجليات كورونا في الشعر، ص 57.

ويقصد الشّاعر بالصمت في هذه الأبيات حالة التّيه التي اعترت النّاس حول هذا الفيروس الخفي الذي يقتل دون تصنيف بين الصغير والكبير، وبين من يستحق الموت، ومن لا يستحق؛ فهو قاتل متهور، لا يهمّه غير القتل بصورة عشوائيّة، الأمر الذي يجعل المخاوف تكبر، والتساؤل يُطرح حول الوقت الذي ينتهي فيه أمر هذا الوباء غير الواضحة معالمه ونهايته.

وقال الشّاعر "**المقدم مشعل بن محماس الحارثي**" في وصف فيروس كورونا:(الرّجز)

صكّت على البلدان منًّا ومنًّا

جرثومة ما هي بـمخلاب وجناح

ولا هي بسيف ولا برمح مطنّا

خلت صروح العالم الأوّل أشباح[1]

جعل الشّاعر في هذه الأبيات وباء فيروس كورونا حيوانا بصفات خاصّة، فهو لا مخالب له لكنه قادر على الفتك بالنّاس، وكذلك لا أجنحة له لكنّه سريع الانتشار، والسّفر إلى كلّ الأماكن في العالم.

ووصف الشّاعر "**عبد الرّحمان بن إبراهيم العتل**" أثر الوباء على نفسيّات النّاس فقال:(الرّمل)

ونحن ماكثون

سائرون

خائفون

متعبدون

بانتظار فرحة

[1] المرجع نفسه، ص 58.

تعيدنا لنقطة الأمان

للحظة الختام

لا نبثاق عودة

تسح بالدّعاء

تزخ بالرّجاء

فيُكشف

البلاء

وترجع الحياة

في

سلاااااام[1]

ويعرب الشّاعر من خلال هذه الأبيات عن حالة الرّكود، والخوف، والتّرقب التي اعترت النّفوس بحلول وباء فيروس كورونا، لكنّه يختم قصيدته بالأمل؛ فرغم الضّيق، والصّعوبات التي تواجهنا إلاّ أنّ الحياة مليئة بالأمل، والمرح، والفرح.

وتبشّر الشّاعرة "**عهود عبد الواحد**" مرثيها الشّاعر "**خالد جميل الصدفة**" بالجنّة بعد نيله شهادة الموت بوباء فيروس كورونا قائلة : (الوافر)

لك البشرى بيوم الرّوع هلّت

ونادى فنوحه ركب السفينا

ونادى خالدا : اركب ستنجُ

وحاذر أن تُشيع الخوف فينا[2]

[1] هاني إسماعيل معنان، عماد عبد الباقي علي، تجليات كورونا في الشعر، ص 67.

[2] المرجع نفسه، ص 83.

تصوّر الشّاعرة المرثي في هذه الأبيات على أنّه بنيله الشّهادة يُعدّ ممّن ركبوا سفينة نوح - عليه السّلام- ونجوا، ثم تتحوّل بالخطاب إلى وباء فيروس كورونا، بأن يحاذر من إشاعته الخوف بين النّاس، فهو وباء مميت ولو كان الشّفاء منه ممكنا .

ويسلّم شعراء العصر المعاصر الأقدار لله باجتياح وباء فيروس كورونا فيقول الشّاعر:(الرّجز)

فرارا من أقـدار منهـا إلى أقــدار

وربّـــنا الرّحمان لنا منه الضّمان[1]

مهما حاول الإنسان الهروب فقدر الله نافد لا محالة.

ويذهب آخرون إلى عدّ وباء فيروس كورونا عقابا إلهيا، حيث استحضر الشّاعر "**عبد الجواد سعد**" قصص الأوّلين قائلا : (الوافر)

رأينا اللهَ عن كثَبٍ..

رأينا سقطةَ الأفيالِ مَطعونًا فمَطعونا

وشاهدنا جموعَ الطيرِ قاذفةً

من السّجيلِ ملعونا

وأهلَ ثمودَ، أهلَ الرّسِّ والأخدودِ

عرَّجنا على عادٍ

وريحُ الصِّرِّ تَحدونا

وأيقنَّا بأنَّ تبدّل

الأكوانِ

نفخ الصّور

[1] هاني إسماعيل معنان، عماد عبد الباقي علي، تجليات كورونا في الشعر، ص 58.

بعثُ رفاتنا.. هَوْنٌ

كمثْلِ مجيءِ كورونا[1]

يسقط الشّاعر ما حلّ بالعالم جرّاء وباء فيروس كورونا على ما حلّ بالعصاة السّابقين، الذين خصّهم الله بالعذاب، جرّاء صنيعهم، فجعل كورونا كأنّها طير الأبابيل، التي قذفت أصحاب الفيل بحجارة من سجّيل، ثمّ صوّر النّاس المستحقّين للعذاب بوباء فيروس كورونا، كأنّهم أهل عاد، أو ثمود.

ثم يُدرج وباء فيروس كورونا ضمن أحداث يوم القيامة، التي تُسبق بالنفخ في السور، وهي أحداث رهيبة خاصّة على العصاة، لأنّ مستقرّهم بعدها العذاب.

ثم يبشّر الشّاعر نفسه من لقوا حتفهم بهذا الوباء قائلا : (الوافر)

فيا من متّ في علل تفشّت وكان الخوف من حتف مبيّنا

لك البشرى بيوم الرّوع هلّت

عليك فنوحه ركب السفينا[2]

يصوّر الشّاعر من هلكوا بهذا الوباء على أنّهم فازوا بالشّهادة شأنهم شأن من ركبوا في سفينة نوح - عليه السلام-، ويُقصد بيوم الرّوع يوم القيامة.

ولم يرد منذ عهد الأساطير والملاحم ذكر الأوبئة في الشعر الغربي إلاّ حديثا، باجتياح وباء فيروس كورونا العالم، أين كتب بعض الشعراء الغربيين عن هذا الوباء، لكن كتاباتهم ظلّت ضئيلة في حجمها، ومعانيها مقارنة بالعرب، لعلّ ذلك يرجع إلى عد العرب الشّعر ديوانا وسجلاّ يؤرّخون فيه حياتهم ويومياتهم، ويجدر الإشارة إلى هذه الكتابات الغربية التي منها قول الشاعرة الأمريكية "**إليسا جو**"حول وباء فيروس كورونا :

وها أنا أحس بالخوف والقلق من الموت

أرجوك يا صديقي القلق أن ترحل عني

[1] المرجع نفسه، ص 68-69.

[2] هاني إسماعيل معنان، عماد عبد الباقي علي، تجليات كورونا في الشعر، ص 69.

لا أحتاج لك، أحتاج إلى جدودي

أريد منهم أن يعلموني كيف أصبر

أريد منهم أن يقولوا لي: نحن نحبك

أريد منهم أن يقولوا لي: لا تقلقي

قبل ألف عام.

يا أجدادي صبرتم أمام الطاعون

أريد أن أرث منكم الصبر.[1]

تعبّر الشّاعرة عن الحالة النفسيّة التي خلّفها فيها وباء فيروس كورونا، فبات الشّعور بالخوف، والقلق يلازمانها، ولا تجد نفسها قادرة على الصّبر، فتستحضر تجربة أجدادها مع وباء الطاعون، وكيفيّة صبرهم عليه، ولا ترى أحسن من الصبر إرثا يخلّفه لها أجدادها.

ويقول الشاعر الطبيب "**أنتوني كوريدور**"

لم يدخل الفيروس رئتي

لكن دخلت الكتابة مخّي

لا أعرف لماذا، ولا أدري متى

ولا أحد يدري

هل سأحتاج إلى اختيار؟

هل سأعود إلى المسارح، ودور السينما؟

هل سأعود إلى قاعات التمرينات الرياضية؟

كم يوما، وكم أسبوعا، وكم شهرا، وكم سنة؟

[1] محمد علي صـــالح، حرب شـــعراء الغرب ضـــدّ كورونا، موقع مجلة المجلة : s://www.majalla.comhttp، تاريخ المقال : 4 جوان 2020، تاريخ الاطلاع عليه : 2024/03/31، على الساعة : 20:00.

حتى فوتشي (خبير الفيروسات)؛ لا يعرف

حتى هو أصابته كآبة الفيروس. في مخّه، لا في رئتيه

كلنا أصابتنا كآبة الفيروس في أمخاخنا، لا في رئتينا [1]

جعل الشّاعر في هذه الأبيات شعوره بالكآبة بمثابة فيروس آخر اعترى عقله، فأعجزه عن التفكير إزاء الوضع المجهولة معالمه، بموجب الوباء فيطرح عدّة إشكالات حول إمكانية عودة الحياة على ما كانت عليه، مع إشارة إلى عجز الطب، والعلم رغم التّطور الهائل الذي حقّقه هذان المجالان.

3)خطاب الوباء في النثر

تمثّلت النصوص النثريّة الأوبئة على مرّ العصور، مصوّرة فتكها بالبشر، وحصدها أرواحهم في سياقات مختلفة، وبأساليب متنوّعة، وكان لكتّاب الأنواع النثريّة الحظ في مشاركة النّاس همومهم إبّان الجوائح في إنتاجات مستوحاة من واقع المجتمعات الأليم، سواء بالتركيز على تأثيرها في الرّوح، ومنظومة القيم، أو كثيمة رمزيّة تحيل على قضايا سياسيّة، واجتماعيّة، وهذا ما سأكشف عنه بأن أخصّص هذا الفضاء لأبين فيه كيفيّة تجلّي الأوبئة في المسرح، والرّواية.

1.3. خطاب الوباء في المسرح

وردت التساؤلات في دراسة تمثّلات الأوبئة في المسرح تبحث عن كيفيّة توظيف الكتّاب للوباء في الحبكة المسرحيّة، وما يستلزمه ذلك من طرح؛ فهل الوباء حضر بوصفه فكرة أساسيّة أم حدثا عارضا، وهل تمّ الحديث عنه بوصفه ظاهرة بيولوجيّة أم رمزا؟ وما الذي رافق كل ذلك من متغيّرات نفسيّة وفكريّة تمثّلتها الشخصيّات؟ وماذا عالج المسرحيّون في البنية المجتمعيّة، والظّواهر البشريّة انطلاقا من الأوبئة بعدّها أحداثا كارثية أثرها كبير على صعيد الحياة، وسلوكياتها، ونظمها القيميّة، والأخلاقية؟

[1] الموقع السّابق.

1.1.3.المسرح الغربي

- **مسرحيّة عدوّ الشعب 1883**

و هي مسرحيّة كتبها النرويجي "**هنريك- إبسن Henrik Ibsen**" (1828-1906) عنوانها "**عدو الشعب**" نُشرت عام 1882، وتم عرضها عام 1883. تروي قصّة رجل يجرؤ على قول حقيقة غير مستساغة، فيعاقب، ويعده الشعب عدوّاً.

وتبدأ أحداث المسرحيّة بعد اكتشاف ينابيع مياه صحيّة في بلدة نرويجيّة صغيرة فتمّ إنشاء مركز علاجي، وسياحي كبير بالمكان ذاته، وأصبحت حمّاماته الصحيّة مقصد المرضى من كل حدب، وصوب، مجتذبة أعدادا ضخمة من الزّوار، والسيّاح، ممّا أدّى إلى انتعاش اقتصاد القرية، وفي غمرة هذا الرّفاه اكتشف الطبيب "توماس ستوكمان"، وهو شقيق رئيس البلديّة في البلدة أنّ مياه الحمامات ملوّثة، وفيها مواد سامّة، ومؤذية للصحّة، ومنذرة بتفشّي وباء خطير، ومميت، وما أن أعلن الطبيب نتائج أبحاثه حتّى تكتّل ضدّه أخوه المسؤول، وجماعة التّجار المنتفعين من المركز، فشنّوا حملة لا أوّل ولا آخر لها، إضافة إلى تأليب سكّان البلدة ضده، والذين لم يتأخّروا في تجريمه، والمطالبة برحيله، لكن الطبيب "ستوكمان" بقي متمسّكا بموقفه رافضا التنازل عن الحقيقة في مواجهة مجتمعه القائم على الكذب في ظلّ استمرار الحملات الشّرسة ضدّه، فحوّلة الشعب إلى عدوّ مكروه وحيد، ومشرّد بعدما خرّبوا بيته، وأفسدوا مستقبل أبنائه، ليصبح مبدأ الحقيقة هو "**عدوّ الشعب**" رغم أنّه صديقهم والخائف على مصلحتهم وهم أعداؤه، وأعداء أنفسهم.[1]

وتتجلى المأساة «**حين يجهر الدكتور -ستوكمان صراحة- وهو الذي يؤمن بالصدق إيمانا مطلقا أنّ مياه البلدة ملوثة، فيثور المجتمع ويرفض أن يحرمهم هذا الطبيب مصدر حياتهم فيُطرد الطبيب ويجرّد من حقّه في ممارسة المهنة**»[2].

لم يفصح الكاتب في هذا العمل على نوع الوباء، ولم يركز على تطوّره، وجعل الأحداث تتطوّر في محيط الطّبيب بمجرد اكتشافه حقيقة المياه الموبوءة.

---

[1] هنري إبسن، عدو الشعب، ترجمة إبراهيم رمزي، دار الطباعة الأهلية، القاهرة،،مصر، الطبعة1، 1932.

[2] جون غاســـتر وإدوارد كون، قاموس المســـرح، مختارات من قاموس المســـرح العالمي، ترجمة مؤنس الرزاز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،لبنان، الطبعة1، 1982، ص 8.

ولم يهتم الكاتب بتحليل الوباء وأسبابه بقدر ما اتخذ منه مادة سلّط من خلالها الضوء على قضية الفساد الاجتماعي، بأن يكون عدوّ الشعب هو الذي يراعي ضميره في العمل، ويخاف على حياة الآخرين، فطرح نصّه المسرحي أسئلة عديدة من قبيل: هل من الحق والعدل أن يكون الشّخص الذي يتحدّى جهل المواطنين بالعلم، ويواجههم بالحقيقة هو عدوّهم؟ وهل من الحق والعدل أن يكون الإنسان الأفضل، هو من يقوم باستغلال الآخرين بتضليل الرأي العام لأغراض شخصيّة على حساب المنفعة العامة، حتى لو اضطره ذلك إلى عدم اتّخاذ التدابير، وإصدار التعليمات لمواجهة الوباء بصفته المسؤول الأوّل على ذلك؟

وأجاب الكاتب على ذلك في نصّه المسرحي من خلال شخصية الطبيب -ستوكمان- فلا بد من التحدّي في سبيل نشر الحقيقة، لذلك استطاع الطبيب أن يثبت تلوث المياه، وخطورتها على صحة الإنسان، واقتراب تفشي وباء مميت، مفسدا على المسؤولين، والتّجار خطة الانتفاع الشّخصي على حساب الصّالح العام في دلالة مفادها أنّ الوباء فكري وليس جسديّا.

- **مسرحية "الوباء" لأوكتاف ميربو Octave Mirbeau 1917-7848**

عُرِضت على مسرح "**أنطوان**" في باريس سنة 1898 مسرحية من فصل واحد اسمها "**الوباء**" للكاتب الفرنسي "أوكتاف ميربو"، وصفت بأنها مهزلة مأساويّة، ثمّ نُشرت عام 1904، مع مجموعة مسرحيّات من فصل واحد في كتاب بعنوان "**المهزلة والأخلاق**"، وتتناول موضوع وباء التيفوئيد، الذي ينتشر في مدينة بحرية، ويضرب الثكنات، والمناطق البائسة. وخلال اجتماع لمجلس المدينة مُخصّص لهذا الوباء يرفض أعضاؤه من الأغلبيّة والمعارضة، جميع الاعتمادات المخصّصة للصّرف الصّحي في المدينة، غير مبالين بالخطر الذي يشكّله المرض.

لكن حين يتفشّى ويصل إلى الأحياء الغنيّة، ويتسبّب في موت بورجوازي معروف يغيّر عمدة المدينة رأيه، ويُثني على فكرة الاعتمادات، فيصوّت أعضاء المجلس بالاجتماع على منح قروض لمواجهة الوباء[1].

اتخذ الكاتب من الوباء في هذه المسرحية أداة لكشف الدرجة التي وصلت إليها الطبقيّة كونها واحدة من مشكلات المجتمع، مصوّرا استهتار المسؤولين بحياة النّاس، وزهدهم عن خدمتهم فهم منصّبون لخدمة الطبقة الزّاهية المتمتّعة بالرّفاهيّة على حساب الطبقة الكادحة الفقيرة، والتي لا يُعمل لها حساب. وحدود نشاطها يَكمن في خدمة البورجوازيين، وتوفير الرّاحة لهم، وأيّة منفعة قد يستفيد منها الفقراء تكون جرّاء انتفاع الطبقة الرئيسيّة.

- **مسرحية "وباء الخرتتة" يوجين يونيسكو 1909- Ionescone é Eug1994**

تعدّ من الكوميديا المرعبة حيث جعل الكاتب أحداثها في مدينة فرنسية صغيرة يُتوقع أنّها ستشهد جنونا مطلقا يعتري كلّ سكّانها، الذين يتجوّلون في شوارعها، وتُعطي شخصيّاتها انطباعا بأنّهم هاربون من حديقة حيوانات، والمرعب في الأمر أن نمت على جباههم فجأة قرون طويلة، وتصلّبت جلودهم، واستحالت سحنة بشرتهم إلى لون أخضر داكن، ومُسِخُوا جميعا في النهاية إلى قطيع من الخراتيت العابثة في الشّوارع، والبيوت، محوّلة إيّاها إلى دمار، ومن بين جميع السكّان يصمد شخص واحد فقط اسمه "بيرانجيه" فيبقى محافظاً على آدميّته، لأنّه يرفض الخضوع لمذهب الامتثال للتقاليد، وتبلّد المشاعر.

وقد وصف "**يونيسكو**" مسرحيته بأنّها مضادة للنّازية، وقد قيل أنّها تجسّد مشاعره قبيل مغادرته رومانيا عام 1938، حين أعلن الكثير من معارفه المثقفين عن ولاّئهم، واستسلامهم للحركة الفاشيّة، والنازيّة قبل وبعد الحرب العالميّة الثانية، إلا أنّ السّبب الذي دفعه لكتابتها ليس النقد المباشر للنّازي المرعب، بقدر ما هو الكشف عن دهنيّة أولئك الذين استسلموا لذلك النّازي، واستجابوا لأفكاره وقيمه[2].

---

[1] عواد علي (كاتب عراقي)، تمثلات المسرـــح للأوبئة... مآس كونيّة أبطالها غير مرئيين، جريدة العرب، العدد 1166، العراق، 2020، ص 17.

[2] نور محمد يو سف، مقال بعنوان "الأوبئة في الم سرح العالمي"، لم يرد ورقيّا وورد عبر الموقع الـ سوري "نفحات القلم"، 2020/05/08م، تم الاطلاع على الموقع في 2023/08/11، على الساعة: 18:29 سا.

واستخدم يونيسكو **"وباء الخرتتة"** مجازا للتعبير عن الوحشيّة المتأصّلة في الكائن البشري، إذ يمثّل الخرتيت طغيان الاستبداد وبربريّته، لذا فإنّ وباء الخرتتة بالنسبة له يعبر عن الوباء لدى تلك الجمهرة التي أنتجها ظهور النازية والفاشيّة على حد سواء.

- **مسرح حياة غاليلو "برتولد بريخت" 1938 Bertold Brecht**

انتشر الطاعون في زمن عالم الفلك الإيطالي الشهير **"غاليلو"**، وبعد مئات السنين انتشر وباء الإنفلونزا في العالم في زمن **"بريخت"**، واتجه العالم **"غاليلو"**، وبريخت إلى سياسة الحجر الصحي التي ساهمت في وقف انتشار الوباءين نسبيا فقط.

واستحضر **"بريخت"** حياة **"غاليلو"**، وأجرى عمليّة إسقاط على المجتمع في الزمنين فلم يتناول الطاعون، ولا وباء الإنفلونزا بوصفهما وتبيان أثرهما... بل جعل الوباء الحقيقي هو وباء الأفكار أين تكون الأفكار بالنّسبة للسّلطات القمعيّة مثل الفيروسات تماما، سريعة الانتشار، والعدوى؛ إذ مال الكاثوليك بسبب سلطة الكنيسة في حياة **"غاليلو"** إلى الضغط عليه للتراجع عن أفكاره مثلما يفعلون مع الطّاعون، فيمرّ السكّان بالقرب من منزله ويهمسون في خوف، ولا يردّون عليه إذا خاطبهم؛ مخافة انتشار عدوى أفكاره، والتي منها أنّ الشّمس لا تدور حول الأرض، الأمر الذي حاربته الكنيسة، لأنّ التسليم لهذه الأفكار العدوانيّة ستخلخل كيان الكنيسة، وهيبتها أمام السّكان.

وبدأت الأفكار تنتشر سريعا من ابن مدبّرة منزل **"غاليلو"** إلى أمّه، ثم الدوق، ثم صاقل عدسة **"غاليلو"**، والفيزيائيين، والحكوميّين، حتى أولئك الذين يجب أن يكونوا محصّنين بشدّة ضدّ رسالته مثل الرّاهب الصّغير وقعوا تحت تأثير المرض (مرض الأفكار العلميّة الجديدة). تسبّب **"غاليلو"** في وباء حقيقي من الشّك داخل إيطاليا، وأماكن أخرى، وراجت فكرة أنّ الكنيسة كانت مخطئة، فتغيّرت نظرة النّاس لها منذ زمن **"غاليلو"**، بل حتى الإيمان نفسه تغيّر، فبدأ قباطنة البحر يعتمدون على خرائط النجوم والبوصلة بدلاً من الاعتماد على الله، وهذا ما أشار به المعنيّون في المسرحيّة، وبأنّ التساؤل في ماهيّة الكون، والنجوم، والأرض امتدّ إلى أبعد من ذلك في عالم الحياة الاجتماعيّة.

وكان أمل بريخت من خلال هذا العمل، أن تنتشر أفكاره عن المسرح كالعدوى؛ فإذا كان عالم الفلك عند "**غاليلو**" كان مكبّلاً بقيود الكنيسة، فإنّ المسرح -**حسب بريخت**- مكبّل بدوره منذ قرون بنظريات أرسطو، والتي يوجب فيها على المسرحيّين أن يقلّدوا الواقع قدر الإمكان.

ويرى "**بريخت**" أنّ المسرح يمكن أن يكون أداة لتشجيع النقاش الفكري، وتسييس الجماهير، وليس بالضّرورة على المسرحي أن يختبر النّاس عاطفيّا في أعماله، بل أن يفكروا في المسرحيّات، ويتذوّقوها بوصفها عملا فنّيا رائعا، ولسيت حياة حقيقيّة. أثارت هذه النظرة الجديدة للمسرح من قِبل بريخت غضب النقّاد، لكنها انتشرت أيضا[1].

وحضر الوباء في المسرحية قناعا للأفكار ورغم وجود الطّاعون كمرض مميت في زمن غاليلو، إلاّ أنّه لم يتم الحديث عنه مطلقاً بل حضر بصورة البطل المنقذ للنّاس من أوهام الكنيسة، وافتراءاتها، وكان العلم قناة قوية، أدت لانتشار الأفكار، كالوباء في أوساط النخبة من سكان إيطاليا، واستحضار "**بريخت**" لحياة "**غاليلو**"، جعل وباء الأفكار في الزّمنين محمودا خاصّة بعد تمكّن كلّ من "**غاليلو**"، و"**بريخت**" من إرساء أفكارهما كلّ في مجاله وأصبح الوباء من هذا المنظور حالة اجتماعية، ذات دلالات سياسية، أبرزها التخلّص من العادات السيّئة والإيديولوجيّات الضّارة في المجتمع، وفي المقابل الانتصار لفكرة العقل الواعي.

- **مسرحية حالة حصار أو حالة طوارئ لألبير كامو Albert Camus**

تدور أحداث المسرحية في ميناء قادش الأندلسي الذي لم يعد له وجود ؛ حيث يتفشى وباء الطاعون مما يضطر الحكومة لإعلان حالة الطواري قصد محاصرته. وتمثل الوباء في المسرحية في صورة رجل يسيطر على المدينة فيتّجه سكانها تجاه البحر محاولين الهرب، في حين يعلن البطل "**دييجو**" العصيان، والتمرد على الوباء، وهنا يدرك الطّاعون أنّ هذا مؤشر لقرب نهايته فيبدأ في التراجع، وبهذا يكون البطل قد ضرب مثلاً عظيماً للذين فقدوا الأمل

[1] برتولد بريخت، الأروجون الصــغير، ترجمة: فاروق عبد الوهاب، دار هلا للطباعة، الجيزة، مصرــ الطبعة1، 2000، ص 6، ص 52-53، (ملخص الصفحات).

في الحياة، لكنّه يدفع ثمن انتصاره غالبا، لأنّه كان عليه الاختيار بين حياته، وحياة حبيبته "**فكتوريا**" فيختار البطل لحبيبته الحياة، ويموت هو شأنه شأن جميع الأبطال الذين يضحّون من أجل الحب بحياتهم.[1]

و تطرح هذه المسرحية فكرة الخوف، وكيفية الانتصار عليها حتى ولو كان الطارئ عظيما على النفس كاجتياح طاعون مميت، لذلك كانت التضحية، وحتميتها، هي الدّافع الأوّل لقهر المخاوف، فكان البطل نموذجا يُحتذى، يعبّر عن فئة لا يقهرها الخوف أمام اختيار مصيري، فإمّا الحياة بكرامة، أو الانتفاضة، والتحدى مهما كانت النتائج.

- **الوباء الأبيض لكارل تشابيك 1890- 1938 apekČ Carl**

تعرض المسرحية أحداث وباء اجتاح المدينة بشكل سريع، وعجز الأطباء والمختصون عن إيجاد حلول للحدّ من فتكه بالنّاس، وانتشاره، فظهر طبيب يُدعى (**غالين**)، ويكتشف عقاراً نافعاً للوباء، لكنّه يشترط على الجهات الوصيّة إزاء تقديمه العقار أن تشهر المدينة إسلامها، وبقي يعالج الفقراء مجّانا، ولمّا أصيب البارون (صاحب مصنع الذخيرة)، والماريشار (القائد الحربي) بالوباء تنكرا في زي فقراء، لكنّ الطبيب اكتشف أمرهما ورفض معالجتها إلى حين تنفيذ شرطه، ويحدث في أحد الأيّام أن مضى الطبيب حاملا عقاقيره لمعالجة أحدهم، فيلتقي في طريقه جماهيرا تهتف للحرب في غضب، فيقف محاولا تهدئتهم، لكنّهم يهجمون عليه ويردّونه قتيلا فتتبعثر عقاقيره.[2]

و يقدم الكاتب المسرحي من خلال هذا العمل تصوّرا سياسيّا، يفسّر ماهية النّازية، على أنّها الوباء الذي سيُفني البشريّة، ولن ينجُ منه لا العام ولا الخاص.

---

[1] عواد علي (كاتب عراقي)، تمثلات المسرـــح للأوبئة.... مآس كونية أبطالها غير مرئيين، جريدة العرب، العدد 11662، العراق، 2020، ص 17.

[2] عادل كوركيس هرمز، مقدمة مسرـحية كارل تشـابيك، الوباء الأبيض، دار الرشـيد، بغداد، العراق، الطبعة 1، 1979، من الصفحة 08 إلى الصفحة 11.

2.1.3 المسرح العربي

لم يكن المسرح العربي بمنأى عن الأوبئة، وأحداثها فتم توظيفها من قبل كتّاب المسرح العربي توظيفات مختلفة مستوحاة من واقع المجتمعات العربيّة، ومن وحي أخيلة كتّابها نذكر منها تمثيلا لا حصرا :

- **مسرحية "هكذا الدنيا" ليوسف وهبي 1934**

تعدّ هذه المسرحية الأبكر في هذا السياق، سلّط فيها كاتبها الضوء على معاناة المصريّين مع وباء الكوليرا، وكان كاتب المسرحية من بين الشّخصيات الممثّلة في عمله فأدّى دور مفتش الصّحة الذي واجه صعوبات في تنبيه الأهالي وتوعيتهم بخطورة الوباء مقابل بعض الظواهر السلبيّة المتفشّية في الرّيف، جرّاء عادات وتقاليد أساسها الجهل، ومنها تفضيل أهل القرية للحلّاق على الطبيب في علاجهم، إضافة إلى انصياعهم للأفّاقين، والدجّالين الذي كانوا يعالجون المرضى بالتعاويذ والأحجبة، والأكثر من ذلك كلّه رميهم للجثث في مياه النيل والتّرع مما يزيد من التعفن وتفاقم العدوى.[1]

وجعل الكاتب المسرحي من خلال هذا العمل الوباء وسيلة لكشف محزون التخلّف في الريف، لمواجهة الوباء وتحدّيه، فيكون الجهل بهذا المفهوم وباء اجتماعيّا يستحقّ الوقوف بحزم لمواجهته، وتحدّيه لوقف انتشاره، وهذا ما سعى إليه الكاتب.

وتجدر الإشارة إلى تحول هذا العمل المسرحي إلى السينما عام 1941 في صورة فيلم بعنوان "عاصفة في الريف" مثّل فيه "**يوسف وهبي**" صاحب العمل دور البطل كذلك، ولاقى الفيلم نجاحا كبيرا.

- **"الملك أوديب" لتوفيق الحكيم 1949**

أتى هذا العمل نتيجة تأثّر "**توفيق الحكيم**" بالأدب العالمي، واتقانه اللّغة الفرنسيّة، لكنّه خالف فيه عمل "**سوفو كليس**" في نقاط، واتّفق معه في أخرى.

اتفق العملان في الأحداث والحبكة الفنيّة، والمسار العام؛ فأوديب شخص ذكيّ قويّ قدّرت له الحياة بعد أن أراد والده التّخلّص منه بغية الهروب، من تحقق نبوءة سيّئة في

[1] عواد علي، تمثلات المسرح للأوبئة، ص 8 -11.

حقه لأنّه ارتكب فاحشة في حق طفل، وتشاء الأقدار لأوديب الذي رماه خادم أبيه مكبلا ومصفّد اليدين في العراء في أعلى الجبل أن يعثر عليه راع، ويشفق على حاله، ويأخذه إلى مالك "**كورنثة**" العقيم، وينال الحظوة عنده لكنّه عندما يكبر يكتشف النّبوءة التي مفادها قتله لأبيه وزواجه من أمّه فيفرّ معتقدا بذلك أنّه سيخلّص والديه من الشّؤم المنتظر، وتشاء الأقدار أن يلتقي والده وهو لا يعرفه، ويقع اشتباك يؤدي بأوديب إلى قتله فعلا لوالده، ثم يصل في رحلته إلى "**طيبة**"، ويجد النّاس مجتمعين حول وحش ألقى عليهم لغزا، وكلّ مخطئ في حلّه هو مقتول على يديّ الوحش لا محالة، وحينها استغل "**أوديب**" ذكاءه لحلّ اللّغز وفعلا نجح في ذلك، فانتحر الوحش، ونُصّب "**أوديب**" ملكا على "**طيبة**"، ليس هذا فقط بل يتمّ تزويجه من زوجة حاكمها المفقود، والذي هو والد "**أديب**" المقتول لتكون بذلك أرملته هي أم "**أوديب**" وفعلا يتزوّجها وينجب منها أبناء، ويحيا بسلام لكنّ لعنة الأقدار سرعان ما تفسد صفو الأجواء بأن تتجلى اللّعنة في مرض الطاعون الأمر الذي يجعل النّاس يتساءلون عن الخطيئة المرتكبة، ويتدخّل هنا العرّاف ليطلع "**أوديب**" على المكنونات، وهنا تكون الصّدمة للجميع، فيفقأ "**أوديب**" عينيه، ويرحل مع ابنته معاقبا العينين اللّتين لم تريا الحقيقة، ولم تتعرّف على الأب والأم، فهي في نظره لا تستحقان أن تريا النّور، ليكمل حياته مفلسا مريضا حتى توافيه المنيّة، أمّا "**جوكاستا**" الزوجة والأم فتنتحر مكفّرة عن الخطيئة ليقع الولدان في صراع حول الملك يؤدّي بقتل أحدهما للآخر، وتموت البنت بعد عودتها لمخالفتها الشّرائع التي قضت بعدم دفن الابن القاتل، لكنّها تدفنه وتنال العقاب وهكذا ينقطع نسل أوديب...

أدرج "**توفيق الحكيم**" الشخصيّات نفسها دون زيادة أو نقصان، وجعل لها الأدوار نفسها :

أ - فجوكاستا في المسرحيتين تمثل صوت العقل.

ب - وترياس في المسرحيتين له قيمة كبيرة يوحى إليه من السّماء فهو المتحكم في الأقدار والسّاخر منها وصوّره الكاتبان على أنه محبوب من الجميع.

ت - كريون الخال في المسرحيتين شخص مرموق محبوب غير طامع في الملك.

ث - أوديب في المسرحيتين كان شقيّا دائم البحث عن الحقيقة وهذا سبب المأساة.

ج - الكورنثي الخادم عند سوفوكليس والرّاعي الشّيخ عند الحكيم هما شخصيتان مساعدتان في إنقاذ الطفل أوديب.

ح - الحوار المسرحي في المسرحيّتين متشابه ومنه حديث الملك للشّعب وحديث الملك مع كريون....

خ - الزمان والمكان كذلك يتطابقان في المسرحيّتين : طيبة، الطريق التي التقى فيها أوديب مع والده...

وخالف "توفيق الحكيم" "سوفوكليس" في النقاط الآتية :

أ - جرّد الحكيم مسرحيّته من المعتقدات الأسطوريّة التي ترفضها العقليّة الإسلامية.

ب - أبرز الحكيم الجو الأسري في حياة "**أوديب**" في حين يشهد هذا الجانب جفافا عند "**سوفوكليس**".

ت - نسب "**الحكيم**" ما كان للآلهة للعرّافين، ولو أنّه لم يستطع تخليص مسرحيته من الآلهة تماما.

ث - جعل "**الحكيم** "بطله أوديب يفكر في أشدّ لحظات الصّدمة، وأكثرها هولا بعد معرفته بحقيقة زواجه من أمّه، وكيف ستستمرّ حياته.

ج - "**أوديب**" عند "**سوفوكليس**" شخصية قويّة، وذكيّة استغلّ ذكاءه في تخليص أهل "**طيبة**" من الوحش فأصبح جديرا بالحب، والاحترام، والتعاطف معه، والرّثاء له لما حلّ به من الآلهة، أمّا عند الحكيم هو شخص متخاذل متآمر أقرّ بخديعة العرّاف لشعبه وانساق إلى خديعة زوجته وأولاده فتصوّروه بطلا منقذا، وبهذا هو شخص أناني، ومشكلته تنحصر في نفسه لا في شعبه مثلما هو الحال عند بطل "**سوفوكليس**".

ح - "**أوديب**" عند الحكيم مضطرب شاعر بالذّنب؛ لأنّ حلّ اللّغز كان أكذوبة بينه وبين العرّاف، على نقيض "**أوديب**" عند "**سوفوكليس**" الذي يرى نفسه مستحقا للحكم لأنّ حلّ اللغز عنده حقيقة.

خ - جعل الحكيم سبب القلق عند بطله يتعدّد فهو لم يكن يخشى فقط من المرض على شعبه مثل أوديب عند سوفوكليس، بل كان يخشى الأكذوبة والمرض وعلى مكانته بين

النّاس؛ لأنّ العرّاف دائما كان يسرّ له أنّ النّاس يأنسون ل"**كريون**" أكثر منه، وأنّ النّاس والكهنة لا يحبّون طريقته، الأمر الذي جعل بطل الحكيم شخصية أكثر تعقيدا.

د - لا يؤمن "**أوديب**" عند الحكيم بالوساطة، والكهانة في حين يؤمن بها "**أوديب**" عند "**سوفوكليس**".

ذ - جعل الحكيم بطله بشرا عاديا في حين كان عند سوفوكليس نصف إله.

ر - عند الحكيم "**أوديب**" قتل والده عن غير قصد في حين عند "**سوفوكليس**" قتله عن عمد، وهذا ما عمّق الشّعور بالذنب عنده فيما بعد.

ز - جعل "**الحكيم**" "**جوكاستا**" أكثر حضورا وعاطفية من "**جوكاستا**" عند "**سوفوكليس.**"

س - جعل "**الحكيم**" الحوار الذي دار بين "**ترسياس**" و"**أوديب**" هادئا لأنّ "**تريسياس**" كان معاونا لأوديب في حين نجد الحوار عند "**سوفوكليس**" بين الاثنين فيه قدر كبير من العداء والتوتر.

ش - حوّل "**الحكيم**" الصّراع من صراع بين الإنسان، والآلهة إلى صراع بين الحقيقة والواقع: الحقيقة كون "**أوديب**" ابنا ل"**لايوس**" وقاتله وزوج أرملته التي هي أمه.
الواقع: توليه الملك منتشيا بأولاده[1].

ص - أبان الحكيم على فكرة مفادها أنّ السّبب الحقيقي للمأساة هو، الحقيقة فلولا ظهورها لكان "**أوديب**" مستقرا في ملكه، في حين كان سبب المأساة عند "**سوفوكليس**" هو الخطيئة التي ينجرّ عنها عقاب الذّات ونسلها.

مثل الوباء وسلية للعقاب في العملين، وتمّ من خلاله الكشف عن قضايا كثيرة ومتنوعة اجتماعيّة، وسياسيّة، ونفسية، لذلك يعدّ هذا العمل مادة دسمة للأدباء، وعلماء النفس والاجتماع.

[1] حفيظة مسلك، مسرحية أوديب بين سوفكليس وتوفيق الحكيم -دراسة مقارنة-، مخطوط رسالة دكتوراه، إشراف عبد القادر شريف بموسى، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2016-2017، ص 216.

➢ نهر الجنون" لتوفيق الحكيم 1935

كتب هذا النّص ضمن مجموعة مسرحيات، وتتكون هذه المسرحيّة من فصل واحد، تدور أحداثها حول حلم أحد الملوك بأن أفعى نفثت سمّها في نهر المدينة التي يحكمها فأصبح الماء موبوءً، وكلّ من يشرب منه يُصاب بالجنون، فامتنع الملك تماما عن الشرب منه، ومنع زوجته ووزيره والمقرّبين منه من الشّرب، وأمرهم أن يعيشوا على شرب النبيذ لكنّهم خالفوا أمره فشربوا منه إلا وزيره.

وأصبح أكابر مملكته الواحد تلو الآخر مجانين، وتفاقم الأمر عندما شربت من النّهر جميع الرعيّة، وأُصيب الكلّ بالجنون، الأمر الذي جعل الكل يتأسّف على المصير الذي آل إليه الملك؛ إذ أنّه بوصفه العاقل الوحيد بين الجميع هو ووزيره يعدّان مجنونين، حتى أنّ القارئ للمسرحيّة يحتار بين الفريقين: الفريق الأوّل يمثّله أكابر القصر، والرّعيّة، والفريق الثاني يمثّله الملك، ووزيره.

فأيّهما العاقل وأيّهما المجنون؟ وهذا يقودنا إلى الإشكالية الفلسفيّة التي تعالجها المسرحيّة فما قيمة نور العقل وسط مملكة من المجانين؟ فالقيمة الوحيدة لهذا العقل أنّه يجعلك منبوذا في ظل سطوة الجميع، وقوّتهم، وقدرتهم على فرض الأمر؛ فهم من يقرّرون الخطأ من الصواب، والعقل من الجنون، وفي نهاية المشهد اقتنع الملك بحتمية شربه من النهر الموبوء بالجنون لكي يحافظ على ملكه وحياته.[1]

واعتمد "**توفيق الحكيم**" على ثيمة الوباء وانتشاره بين النّاس ليعبّر عن الصّراع القائم بين الفرد والمجتمع، وأنّ رأي الفرد يذوب بالجماعة من ناحية وأن صلاح المجتمع بصلاح الفرد من ناحية أخرى؛ فهذا الملك تهرّب في جبن كبير من واجبه كراع مسؤول عن رعيّته، واختار الحلّ الأسهل الذي يحفظ حياته، ورغم صعوبة المواجهة إلاّ أنّ الأجدر هو تقديره لنعمة العقل التي وهبها الله إيّاه، والعمل بهمّة على تقويم الإعوجاج في مجتمع بأكمله وتحمّل كل الصدود والمقاومات مهما كان شكلها ومهما بلغت حدّتها.

[1] إميل كبا، فن الإضحاك في مسرحيات توفيق الحكيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، الطبعة1، 1997، ص 175.

ويكون الوباء بهذا الحضور جوابا على القضية الفلسفية المطروحة حول علاقة الفرد بالمجتمع، وأيّهما له تأثير في الآخر، لينتصر الكاتب في الأخير إلى المجتمع.

- **مسرحية "يميت ويُحي" لنجيب محفوظ" 1967**

كُتبت هذه المسرحية بعد النكسة، وفيها إسقاط غير مباشر لأحداثها؛ إذ نرى جوّا من الغموض يعتري مسرح الأحداث، بوجود أشباح لشخصيات تظهر كما لو كانت تأتي من عالم الموتى، وبطل المسرحيّة شاب يافع قوي البنية يرمز إلى الحاضر يسقط صريع هوى فتاة جميلة تمثّل الحياة بمشتهياتها، وتكون بين هذا الفتى، وطرف مجهول عداوة كبيرة تستلزم منه الثأر، لكنّ الفتاة سعت جاهدة لتهدئته، ثمّ يظهر طبيب على المسرح يخبر الفتى أنّه سيصاب بوباء معد وهو وباء التردّد، وعدم القدرة على اتخاذ القرار، ثم يظهر في طريقه عملاق يعد الفتى بمساعدته على الانتقام، وتدور على المسرح حوارات بين الفتى، والفتاة الشابّة، والأشباح الذين منهم أجداده، وهم موتى يقنعونه بعدم التخلّي عن قرار الانتقام من الأعداء الذين يستفزّونه بالسير أمامه منتصرين، أمّا العملاق فيعترف للفتى الشاب أنّ حدود مساعدته له تكمن في إقناعه عن العدول عن قرار الانتقام؛ كون العدو هو قريبه، ويجد البطل نفسه موبوء فعلا بوباء التردّد الذي أخبره عنه الطبيب، وهنا يبدأ صراعه مع الوباء ومواجهته، وخلافا عن الشّخصيات الموبوءة بدورها بوباء التردّد. يستطيع الفتى الشّاب أن يتّخذ قرارا مفاده المواجهة، والانتقام، فيرتاح الموتى لهذا القرار، ويعودون قبورهم.[1]

ويحيل عنوان المسرحية إلى حياة الضمير العربي وموته، وهو بيد الشباب، والتردد في اتخاذ قرار الانتقام ممن نكّلوا بالعرب، وبفلسطين هو فعلا وباء معد، إلاّ أن مواجهته النفسيّة ليست مستحيلة، ولعلّ أكبر حافز ينطلق منه الشباب هم الأجداد وما صنعوه من مجد يحثّ على الاستمرار في الثأر، ومواجهة العدو لأن ذلك –حسب الكاتب-أمانة، لن يستريح السلف في قبورهم إلاّ إذا أدّاها شباب اليوم على الوجه المطلوب.

[1] نجيب محفوظ، المسرحيّات، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط2، 2000، من 8 إلى 32.

- **الحب في زمن الطاعون "عبد الخالق كريم" 2001**

كُتبت المسرحية في فصل واحد، يسرد فيها الكاتب أحداثا مرعبة بأن اجتاح الطاعون إحدى المدن، فأصبحت رائحة الموت منتشرة في كل مكان. وفي أحد البيوت زوجان محبّان لبعضهما، وكانت الزوجة حاملاً، وصوّر الكاتب وجود صوت في المنزل يتردّد على مسامع صاحبه بأنّ من سيموت في المنزل هم خمسة أشخاص، وهنا بدأ الزّوج يتخلّص من الموجودين في منزله، فرمى أمّه وأبوه، وأخته لكنّ الصوت ظلّ يتردّد، وحدث ذات مرّة أن دخل لصّ للبيت فوجد الزّوجة متشحة بغطاء أبيض فظنّها ميّتة والجثة لم تتعفّن بعد، وترك كلّ ذي قيمة في المنزل، واستهدف سرقة الكفن كونه بضاعة رائجة تلك الأيّام، لتفشي وباء الطاعون، وموت الناس، وبمجرد لمسه الزّوجة استيقظت مدوّية البيت فجاء الزّوج مسرعا، وقتل اللّص ورماه خارجا، ثم صاح الزّوج بأن مات أربعة، وبقي الصّوت يذكّره بأنّ الموتى سيكونون خمسة، فاستمر الزّوج في مسعاه، بأن يصنع الحياة، والبقاء، ففكّر بإجهاض الزّوجة، ثم فكّر في المتاجرة بشرفه بأن يستعرض زوجته على الشّرفة كبضاعة يستدرج بها أحدهم، وفعلا نجحت في استدراج شاب إلى المنزل ليخرج إليه الزّوج من إحدى الغرف، ويقضي عليه بسكين فأعلن فرحا إخراصه للصوت الذي نغّص عليه عيشه «**(...) وهو يصرخ مات خمسة أفراد في هذا المنزل عودي لم يعد شبح الموت ينشب أظفاره في هذا المكان فتهرع الزوجة من المنزل كالمجنونة إلى الشارع وهي تصرخ: لا طاعون هنا، لا طاعون في الخارج إنه أنت الطاعون أنت**»[1].

انطلق الكاتب في هذا العمل المسرحيّ من الوباء فبيّن معاناة الشخصيّة الدراميّة ويأسها متجسّدا في حوارات فلسفيّة عميقة، مجالها الذّات الإنسانيّة، مسلّطا الضوء على الكثير من الثنائيّات (كالجمال والقبح، الحب والرذيلية، الشرف والعهر، الأمانة والخيانة، الوجود والعدمية...)؛ فخوف الشخصيّة البطلة من وباء الطاعون أجّج لديه فكرة التضحية بذويه من أجل من يحب، فبدا الحب في أبشع صورة، وأفضى حق الملاذ من الموت إلى ارتكاب

[1] م.م. حسنين حمزة علي الزهيري، الأوبئة وتمثلاتها في النص المسرحي العراقي، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 24، بيروت، لبنان، 2021، ص 197.(ملخص).

الرذيلة والانحراف، فأصبح الطاعون من منظور الكاتب بمثابة محلول كاشف لحقيقة النفس البشرية المهتزّة، والمستعدة في سبيل البقاء لفعل أي شيء.

- **مسرحية "الكوليرا" لسعد هدابي 2015**

جعل الكاتب وباء الكوليرا قناعا للحروب التي مرّت بالعراق، وأثقلت كاهل المرأة العراقيّة بصورة خاصّة؛ إذ وجدت نفسها دون أسباب تقدّم أبناءها قربانا لحروب خاسرة لم تعد عليها إلاّ بالمآسي والأوجاع، فالحروب كالوباء فتّاكة قاتلة، وتسرد أحداث المسرحيّة أحداثا ناقدة للحاضر من خلال استحضار الماضي، بأن تقوم البطلة وهي فنّانة تشكيليّة بصنع رجل من طين ليؤنس وحدتها فتجد فيه مفهوم الرّجل المطلوب، فتعاملت معه كأنّه له روح قادرة على مواساتها، وتغيير واقعها الأليم، وأصبح ما في خيالها واقعا معيشا، وتنتهي المسرحيّة بهروب هذا الرجل الذي رأى نفسه مكبّلا بقيود المرارة والخسارة.[1]

و يعرض الكاتب من خلال هذا العمل المسرحي الوحدة، والألم اللذين تتجرع المرأة العراقية مرارتهما، لكونها عانت من وباء الحروب الذي جعله الكاتب مطابقا لوباء الكوليرا دون مساندة أو مساعدة، وعبّر بهروب الرجل عن خذلان الرجل العراقي للمرأة، وعدم قيامه بواجبه نحوها، رغم أنها من تبث فيه الرّوح، وتنشؤه، وتبعثه للكون رجلاً كاملا، لكنّه في الأخير يتنكّر لها، ولكلّ العواطف الإنسانية التي زوّدته بها، فتكون دلالة الوباء بهذا المنظور دلالة اجتماعية، تعالج مشكلة المرأة العراقيّة ومعاناتها.

- **مسرحيّة " وباء" لعبد الكريم العامري 2018**

تتقاطع أحداث المسرحية مع ما أوردته رواية "العمى" **لجوزيه ساراماغو Jose Saramago**، ورواية "**بلد العميان" لهربرت جورج ويلز" H.G.Wells** بأن ينتشر وباء العمى في مدينة مجهولة دون سبب، وإذا كان العمى في رواية "**بلد العميان**" سببه كثرة الذنوب والخطايا، فإنه لدى جوسيه ساراماغو، وعبد الكريم العامري غير معلّل، وهذا ما يوضّحه الحوار الذي أورده الكاتب "**عبد الكريم العامري**":

[1] مؤلف مجهول، مسرحية "كوليرا" لوصف معاناة المرأة العراقية، مدونات عربية عبر الموقع: http://alaaaltrfee.arablog.org تم الاطلاع على الوقع بتاريخ: 2023/07/21 على الساعة : 8:40.

رجل 1 : أنا مثلك تماماً.... ما أصابك أصابني وأصاب كلّ الناس...

الطبّال : حقا..؟ كلّ النّاس عميان...! هل هي لعنة نزلت بنا...؟

رجل 2 : ليست لعنة... هذا وباء...[1]

حمّل كاتب هذه المسرحية عمله الكثير من الأفكارّ، والإيديولوجيات، والرّؤى السياسيّة كرد فعل مجتمعي نفسي ثقافي، من أجل غد مشرق بعد ما آلت إليه الحياة العراقيّة سياسيّا وثقافيّا، واجتماعيّا، في ظلّ التطاحن على السّلطة، والخراب الذي سبّبته الانفجارات اليوميّة، ممّا حوّل آمال وأحلام المجتمع إلى سراب، وتظهر رمزية الوباء السياسيّة في اعتباره مؤامرة.

رجل 1 : هذا ليس وباء... هذه مؤامرة.

رجل 2 : لمصلحة من تلك المؤامرة؟

رجل 1 : تعرفهم جيدا.. أولئك الذين لم يصبهم الوباء... في بروجهم العالية يراقبوننا يتجسّسون على أفعالنا يحبسون عنّا الهواء، ويحاولون أن يقتادونا حيثما شاؤوا.[2]

وتظهر هنا ثنائية الأنا المغلوب المضطهد، والآخر المتعسّف المتمثّل في القوى الغربيّة، وبتبادل الحوارات بين الشخصيّات يُلغي الكاتب فكرة المؤامرة، ليذهب بالوباء إلى دلالة تتراوح بين النفسيّة والدينيّة.

رجل 2 : ادع ربّك أن يُبصّرك... ربّما ينفعك الدعاء.

رجل 1 : وهل يصل الدعاء في مدينة كهذه؟

رجل 2 : لِمَ لا يصل؟ ما بها هذه المدينة كلّ شوارعها نظيفة.

رجل 1 : وماذا عن النّفوس الوسخة هل ينفع معها الدعاء؟[3].

يبدو المصابون بالعمى من خلال هذا الحوار ضحايا أهوائهم الدّاخلية التي ينجرّ عنها حالة قطيعة مع الجانب الديني؛ إذ بحلول الوباء تتذكر الأنفس أنّ حقّ الدعاء ضئيل أمام هول الخطايا، وهذا ما عبّر عنه الكاتب بقوله: (النفوس الوسخة).

[1] عبد الكريم العامري، مسرحية "وباء"، النّص غير موجود ورقيّا الموقع: https://alantologia.com.

[2] عبد الكريم العامري، مسرحية "وباء"، النّص غير موجود ورقيّا الموقع: https://alantologia.com.

[3] الموقع نفسه.

ثمّ يعرض الكاتب دلالة اجتماعيّة للوباء متجسّدة في شخصيّة الجزّار الذي استغلّ الأوضاع، وأشعل الأسعار، ولاقى في ذلك المقابل الترحيب، والتقبّل رغم عجز المرضى.

رجل 2 : مميّزون بكل شيء بالكذب، والنفاق، والعمى أيضا.

الطبال : نحن لا نكذب ولا ننافق.

رجل 2 : لكنّكم تطبلون لهذا وذاك.. تطبلون لكلّ جزّار.

الطبّال : اللحوم الحمراء تغرينا... لم لا نطبل للجزّار وهو يشبعنا...

رجل 2 : يشبعكم ذلّا وقهرا...[1]

ويكشف هذا الحوار عن هشاشة النّفس الإنسانيّة المنصاعة للاستبداد، والتعسّف في حال العجز، ومن جهة أخرى يكشف عن هشاشة الأخلاق بممارسة الاستبداد، والاستغلال من لدن الأطراف المتمكّنة اجتماعيّا، ورغم ذلك يتم التطبيل والمباركة لهم.

كما نجد الشخصيّات المختارة تحمل دلالة حسب ما أراد الكاتب إيراده من معان، من خلال الجزّار المتاجر في اللّحوم، والمستغل للأوضاع، و الطبّال الذي يرمز للفنّانين، والمبدعين، في إشارة من الكاتب لمسايرتهم الأوضاع مهما كان تردّيها، والتطبيل لها عوض الوقوف بحزم وتحدّيها، وكشف خداع الفئات المهدِّمة للمجتمع، في حين حمّل الكاتب للرجل1، والرجل2 كلّ الأفكار، والثقافات، والميول التي تتميّز بها عامّة النّاس، فمنهم الفطن ومنهم السلبي ومنهم الغافل...

- **مسرحية "كمامة" لعمّار سيف محمد 2020**

كتبها صاحبها في فصل واحد متزامنة مع وباء فيروس كورونا، مؤنسنا فيها الفيروس، بإقامته حوارات في مواضيع حسّاسة مع الشّخصيات، ليكشف عن قضايا عديدة.

كوفيد : لماذا هكذا يهربون ولماذا هم خائفون؛ (...) ماذا فعلت أنا كي أهاجَم بكلّ هذه القسوة؟ تخافون الموت، وأنتم أصلا أموات.[2]

ثم يسترسل الكوفيد في ذكر مظاهر الموت قائلا:

---

[1] عبد الكريم العامري، مسرحية "وباء"، الموقع السابق.

[2] عمار ســـيف، مسرـــحية "كمامة" على الموقع https://almasr7news.com تم الاطلاع على الموقع بتاريخ : 2023/07/27 على الساعة: 5:56.

كوفيد : تموتون بالحروب بالجملة، بلا ذنب وأنتم صامتون، ترقصون بالسّجون ألما من التعذيب، وأنتم صامتون، تسقطون على الأرض أمواتا من الجوع، وأنتم صامتون، يُنهش لحمكم، وأنتم صامتون، تُسرقون تُهمّشون تُعذّبون تُغتصبون، وأنتم صامتون[1].

عرض الكاتب المسرحي من خلال هذا القول أوضاعاً أشدّ شراسة، وفتكا بالنّاس من الفيروس ثم يصرّح بما يجب الحذر، والخوف منه فعلا، وهو الغرب، واستيلاؤه على ما تجود به الدول الفقيرة، فيقول على لسان الكوفيد: «**مابكم تنافسون الأخطبوط الذي يحكمكم، ويسيطر على كلّ ما تملكون. حتى ملذاتكم بأيديهم، استعبدوكم، وانتهكوا أعراضكم، وسرقوكم، واستولوا على وطنكم، وأنتم تصدّقونهم، تتفاخرون بهم**».[2]

ثم يصوّر الكاتب الكوفيد على أنّه لعنة حلّت بالناس جرّاء أفعالهم، يقول كوفيد: «**صدقوني حين تُصلحون أنفسكم ستتحرّرون من لعنتي، ولعنة غيري**».[3]

ويذهب الكاتب بهذا القول إلى عدّ الوباء عقابا إلهيا تأتّى نتيجة فساد النّاس، ويبيّن في السّياق ذاته أنّ الكوفيد ليس الوباء الوحيد، أو الأخطر، مقارنة بوباء العولمة التي قلبت الموازين الإنسانيّة، وفرضت نفسها، وأدّت إلى الانقسامات المجتمعيّة.

2.3. الوباء في الرّواية

يعد النّوع الرّوائي نتاجا ثقافيّا يتّسم بالخصوبة الفنيّة، والثّراء المعرفي، والاستجابة الحيويّة للواقع، بنقل تفاصيل الحياة اليوميّة، مزاوجًا بين الوصف والترميز، من خلال التعبير على الأشكال، أو الأحداث، أو المواقف أو الانفعالات، أو العلاقات الاجتماعيّة، أو الظواهر البشريّة و الطبيعيّة، بما في ذلك ظاهرة الأوبئة التي سُجّلت في أعمال روائيّة نقل من خلالها الروائيّون رؤى، وتصوّرات مختلفة، حاولت في معظمها الإجابة على الإشكاليّة التالية: كيف يصبح المجتمع عندما يحلّ به وباء ما؟ وكيف يؤثّر أيّ وباء في تعامل النّاس مع بعضهم؟ وهل ثمّة قيم وأخلاق مرتبطة باجتياح الأوبئة للمجتمعات؟...

[1] الموقع نفسه.
[2] الموقع نفسه.
[3] الموقع السابق.

و سأحاول في هذا المبحث الإجابة على هذه التساؤلات، وغيرها بالتطرق لأشهر الأعمال الرّوائيّة التي اتخذت من ظاهرة الوباء مادّة لتصوير الإنسانيّة بكل قيمها في الحقب الكارثيّة الحرجة.

1.2.3 الرّواية الغربيّة

➢ **رواية الديكاميرون 1353 : decameron للأديب الفرنسي جوفاني بوكاتشيو boceacio**

تعني كلمة الديكاميرون " **الأيّام العشرة**"، وسميّت كذلك نسبة إلى الأيّام العشرة التي دارت فيها أهم أحداث الرّواية، وهي عبارة عن مئة قصّة تجري أحداثها على ألسنة عشرة شباب منهم سبع نساء، وثلاثة رجال.

ولاحظ الرّوائي أنّ النّساء محرومات من العديد من وسائل الترفيه، والتسلية المتاحة للرّجال، فوجّه عليهن تركيزه، وتدور الأحداث في القرن الرابع عشر ميلادي، وهي الحقبة التي غزا فيها الطّاعون أوروبا، حيث يستفتح الرّوائي روايته بوصف وباء الطّاعون، وحالة الهلع الشّديدة التي انتشرت وقتها؛ إذ تحوّل الوباء إلى وحش يلتهم كلّ من يمر أمامه، فقتل الغنيّ، والفقير، والشّاب، والمسنّ، والطفل... وخُرّبت البيوت، وتشتّتت الأسر، وعمّ الحزن، فاستغنى الخادم عن خدمة سيده المصاب، وهاجر النّاس تاركين أملاكهم، هربا من الموت الجارف، فعجزت المقابر على استقبال الموتى فرادى، وتمّ دفنهم جماعة و بالمئات.

واختار الرّوائي شخصيّات روايته من أصول نبيلة بعد الانتهاء من وصف الوباء، وكانت أعمار الأبطال تتراوح ما بين الثّامنة عشرة، والخامسة والعشرين، وهم سبع بنات فائقات الجمال، وثلاثة شباب.

والتقى عشرتهم في الكنيسة عندما جاءت الفتيات لآداء صلوات الموتى، وتجاذب الجميع أطراف الحديث عن الهموم، وسوداويّة الأوضاع، فاقترحت أكبر الفتيات المدعوّة "**بامبينا**" على البقيّة الذّهاب إلى الرّيف لقضاء أوقات مرحة بعيدا عن أهوال المدينة، وفعلا تحرّك الموكب حاملا الفتيات، والرّجال، والخدم في حالة من السّرور حتى وصلوا إلى الرّيف، وهناك مارسوا كلّ طقوس التسلية، فغنّوا، ورقصوا، ولهو، واتّفقوا على تنصيب ملك بالتناوب كلّ

يوم، حتى تُدار الأيّام بشكل منظّم، و اختاروا " **بامبينا**" كملكة لليوم الأوّل، فأشارت عليهم بأن يرْوُوا القصص كلّ يوم حول موضوع محدّد، وهنا حقّق الرّوائي مبتغاه في رواية القصص، حتى بلغ عددها مائة قصّة خلال عشرة أيام.

واستطاع فعلا إبعاد القارئ عن جرعة الرّعب التي استهل بها روايته، خاصّة أنّ القصص المروية كثيرة، ومتعدّدة المغازي، تدفع بالقارئ إلى مشاركة الأبطال التفكير، والتدبر مع الشّخصيّات حول الأحداث.[1]

لا يُعد الوباء في هذه الرّواية موضوعها الأساسي، وكان وجوده رمزيّا، يسخر من خلال القصص المروية على لسان الشخصيات العشر من تزمت وتحجّر العصور الوسطى، وسيطرة الكنيسة، ورجال الدّين، وقد يذهب الرّوائي إلى أبعد من هذا مقارنة بالحقبة التي كُتب فيها النّص فيمكننا عدّه مبشّرًا بعصر النّهضة، ومناديا بالبرجوازية الصّاعدة، لغلبة العنصر النسوي، وانتماء الشخصيّات لأسر ميسورة الحال.

➢ حكايات كانترابري لجيوفري frey thaosergeof 1400-1387

تعدّ مجموعة من القصص، بدأ الرّوائي في تحرير ورقاتها من 1387 الى 1400 أين وافته المنية قبل إكمالها، ويفترض أنّ العمل في شكله النهائي سيفضى إلى مئة وعشرين قصة تُروى على لسان ثلاثين حاجّا، يتوجّهون في رحلة حج ذهابا، وإيّابا من لندن إلى كانتربري، ويجتمعون في نزل على طريقهم، وفي النزل يقترح عليهم صاحبه أن يرو كلّ حاجّ منهم قصّتين في طريق الذّهاب، وأخرتين في طريق العودة، وتكون مكافأة صاحب القصّة الأجمل هي تناول العشاء مجانا في النزل، وهكذا يبدأ الحجّاج في القصّ لكن دون أن تكتمل القصص بسبب وفاة الرّوائي.

جعل الكاتب شخصيّاته من مختلف فئات المجتمع من حرفيين، وبرجوازيين، وبحّارة، وتجّار، وعاطلين عن العمل، وربّات بيوت، متمكّنا بذلك من رسم صورة واضحة للمجتمع الإنجليزي في ذلك الحين، وعمل على الرّبط بين القصص من خلال الجدل القائم بين الحجّاج؛ فمثلا يقصّ الأوّل قصّة تحمل دلالة، تخصّ طبقة أو فئة معيّنة، فيرد الثّاني على الفكرة ذاتها

[1] جيوفاني يوكاشيو، الديكاميرون، ترجمة : صالح علماني، دار الثقافة و النشر، دمشق، سوريا،ط2، 2006.

بقصّة أخرى، فمثلا عرض أحدهم فكرة عبر إحدى القصص، وهي فكرة تحكّم المرأة البرجوازيّة في الرّجل، فردّ الموظّف بقصّة أخرى على أنّ هذه السيطرة هي لبّ التعاسة عند الرجل وهكذا.

وتعرض إحدى القصص كيفيّه اجتياح وباء الطّاعون أوروبا في القرن 14 والذي عُرف بالموت الأسود، في رمزيّة ساخرة من رجال الكنيسة الذين لطالما ادّعوا الصّالح العام والورع، وهم في الحقيقة لا تهمّهم سوى مصالحهم الشخصيّة من خلال الهيمنة التّامّة على كلّ قطاعات المجتمع الإنجليزي.

ويشير القاصّ في هذا العمل إلى بداية انهيار نظام الكنيسة في زمن الطّاعون؛ حيث بدأت كلّ القطاعات تنفصل عنها شيئا فشيئا حتى تنال استقلالها الكلّي، ومن هنا يعدّ الوباء وسيلة كاشفة لزيف الدّين ورجاله[1].

- **الحيوانات المصابة بالطاعون 1678 لجاز دي لافونتين: de la fontaine jean**

تندرج ضمن أدب القصص القصيرة وتدور حول اجتماع الحيوانات بأمر الأسد ملك الغابة للتباحث في أمر مرض الطّاعون القاتل الذي نزل بهم كعقوبة من الله، لانتشار الذنوب، والجرائم على الأرض، حيث كان الغرض هو التضحيه بالمذنب حتى يُرفع الوباء.

فكان الأسد أوّل المعترفين بأكله الخراف والشياه، لكن الثعلب مجّد صنيعة، و عدّه شرفا مطلقا للماشية أن تكون طعاما لملك الغابة، ثم راح كلّ منهم يعترف بجريمته، والبقية تلتمس له الأعذار وصولا إلى الحمار الذي عدّ أكله لبعض العشب المحيط بدير العبادة لا يرتقي أن يكون كباقي جرائم المعترفين قبله، فقصّ عليهم ذلك منتظرا التماسهم له الأعذار، ليفاجَئ باستنكارهم صنيعه، وتحميلهم له مسؤولية سخط الوباء، وغضب الإله، ليكون الطّاعون في هذا المقام إسقاطا لما يحدث بين البشر، فمهما تعدّدت شعارات التقوى، والديمقراطيّة، والحقوق، والمساواة، والعدل... فإنّ القويّ يجد دوما من يبرّر جرائمه في الوقت الذي يحاسب فيه الضعفاء، دون هوادة أو رحمة على أتفه الهفوات، وبالتّالي تمكّن

[1] جيفري تشوسر، حكايات كانتربري، ترجمة: مجدي وهبه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مصر 1983، https://arywww.librarab.com.

لافونتين من خلال الوباء من وضع إصبعه على مكمن الدّاء السياسيّ الممارَس آنذاك في أوروبا القديمة، كما تناول عدّة أمراض اجتماعيّة، كالنّفاق، والمحسوبيّة، والظلم، وغيرها من العلل التي كانت تنخر في المجتمع الفرنسي آنذاك[1].

- **مجلّة الطاعون لدانيال ديفو: daniel defoe 1722**

توثّق هذه الرّواية تجارب رجل واحد عام 1665، عندما تفشّى الطّاعون في لندن حينها، وهوآخر طاعون ظهر في المنطقة بعد سلسلة الطواعين التي مرّت بها، حيث أبدى الرّوائي جهدا كبيرا في تدقيق المعلومات، وتحديد الأحياء، والشوارع، والمنازل التي وقعت فيها الأحداث، بالإضافة إلى نشر أرقام الوفيات، وتقصّي صدق الأخبار التي يتلقاها الرّاوي من هنا، وهناك.

وظّف الرّوائي رجلا واحدا يعده شاهد عيان لتوثيق الأخبار المرعبة التي حدثت لأشخاص سُجنوا في منازلهم، بسبب إصابة أحدهم بالمرض، حيث أغلقت السّلطات الأبواب تماما، ورُسم على الباب صليب أحمر، وهي طريقة سنّتها الوصاية من أجل عزل المرضى، الأمر الذي يجعل حتى الأصحّاء تنتقل إليهم العدوى، بحكم تواجدهم مع المصابين حتى يموتوا جميعا.

كما وضعت السّلطات أمام هذه البيوت حارسا يحرص على عدم تواجد أيّ من أفراد العائلة خارجا، أو وجود محاولة للهرب، لكن رغم ذلك تمكّن البعض من الفرار عبر أبواب، أو مخارج سريّة في بيوتهم، أو من خلال رشوة الحرّاس حتى يسمحوا لهم بالفرار، أمّا من تمّ احتجازهم في الدّاخل، فدارت بينهم مناقشات حادّة، ومواقف تتجلّى فيها المصلحة الشخصيّة، وأدّى الوضع بالبعض إلى القتال حتى الموت، أو التسريع في نهاية ذويه، للنّجاة بنفسه، وبهذا يكون الطّاعون بالنسبة للرّوائي وسيلة لكشف أنانيّة النّفس البشريّة،

[1] :جان دي لافونتين، الحيوانات المصـــابة بالطاعون، ترجمة: جبرا ابراهيم جبرا، دار ثقافة الأطفال، بغداد، العراق، ط1، 1987.

وسلطويّتها في الظّروف الحرجة، إذ جلّت الرّواية من خلال الوباء عن نسبة الشّرور، وارتفاع منسوبها عندما يتعلّق الأمر بالبقاء[1].

- **الإنسان الأخير لماري شيللي mary shelly 1826**

تدور أحداث الرّواية حول مجموعة من البشر يكافحون للبقاء في عالم يجتاحه الوباء، ورجل يصارع من أجل إبقاء عائلته آمنه، ولكنّه في نهاية الرّواية يصبح الرّجل الوحيد المتبقّي على قيد الحياة، وتتأرجح الرّواية بين الاستشراف، وأدب السّيرة؛ إذ تستحضر الرّوائيّة شخصيّات واقعيّة فقدتهم في واقعها، منهم زوجها، وصديقه، وأختها وأمّها... ولعلّ تجربة الفقد لدى الروائيّة شكّلت جانبا مهمّا من قتامة الأحداث، وسوداويّة مسارها، أمّا الاستشراف فكانت قد نوّهت إليه الرّوائيّة في مقدمّه الرواية بأنّها استندت في الأحداث على ما وجدته في كهف عرّافة بالقرب من "**نابولي**"، وكانت مجموعة كتابات مفادها تغيير كوكب الأرض، ومناخه بفعل وباء قاتل، ومن ثم تبادرت إليها فكرة فناء البشر.

وتطرح الروائيّة من خلال الوباء قضية مهمّة تجعل فيها للإنسان دورا مهمّا في ظهور الأوبئة من خلال ممارساته التعسفيّة في الطبيعة، وأنّه سيبيد نفسه بنفسه إذا لم يغيّر من معاملته السيّئة لها.

وتقدّم الروائيّة من خلال بقاء الإنسان الواحد على قيد الحياة فرصة أخرى للبشريّة للتجدّد رغم كارثيّة الأحداث، حيث أدّى الوباء الموظّف في روايتها إلى إفناء كلّ البشريّة، وكأنها تريد القول بأنّ الأمل في الحياة على رغم ضآلته يبقى دائما موجودا[2].

- **رواية المخطوبين للإيطالي أليساندرو مانزوني alessandro Manzoni:1827**

تعدّ من أشهر الرّوايات الإيطاليّه بطلها "**رينزو**"، و"**لوسيا**" اللّذين كانا مخطوبين يعيشان في" **لومباردي**"، ويخطّطان للزّواج، وفي اللّيلة التي تسبق زواجهما كان كاهن الرّعية "**دون بونديون**" في طريقه إلى منزله، حين صادف رجلين أمراه أن لا يُشرف على الزواج بناء على

[1] دانيال ديفو، مجلة الطاعون، ترجمة:أحمد كمال، أركان لدراسـات و الأبحاث و النشـر المنصـة الإلكترونية، القاهرة، مصر، ط1، 2020.

[2] ماري شيللي، الإنسان الأخير (الطاعون)، ترجمة: عبد العزيز عواد العتري، مراجعة وليد الشايحي، دار الخان، الكويت، ط1، 2019.

المنع الذي صدر من البارون المحلّي "**دون رودريغو**"، وفي اليوم التالي عندما حضر "**رينزو**" حفل زفافه، فوجئ أنّ زفافه تمّ تأجيله، ثم اكتشف أنّ " **دون رودريغو**" كان طامعا في عروسه، الأمر الذي اضطر البطلين إلى السّفر من أجل إتمام الزواج، فانتقلا إلى "**ميلانو**" التي تعاني المجاعة بسبب وباء الطاعون، الذي ضرب المنطقة قالبا موازين الحياة، ووصل الأمر بمجموعة من الحشود إلى تدمير مخبز محلّي، ومحاولة إعدام مفوّض التموين على مرأى من النّاس، والبطل "**رينزو**" تدخّل، وأنقذ الموقف بتهدئة الجماهير المحتشدة، ومساعدة المفوّض، فأصبح معروفا في المدينة ولفت إليه الأنظار، وفي اليوم الموالي استيقظ على منظر الأصفاد تكبّل يديه، وحاولوا إبعاده على المدينة على مرأى من النّاس، الذين تعاطفوا معه وساعدوه على الهرب، شاقّا طريقه إلى "**دراغمو**"، أين سيكون حسب اعتقاده في مأمن، في حين استقرّت "**لوسيا**" في الدير، وعلمت أن "**رودريغو**" أمر بتوقيف خطيبها "**رينزو**"، وعلى حين غرّة تمكّن من سرقة "**لوسيا**"، وجلبها إليه، وحبسها في غرفة في قصره، الأمر الذي جعلها تتعهّد بخدمه الدير لو نجت من قبضه البارون، وتمّ لها ذلك فعلا بعد صحوة ضمير الرّجل الذي كلّفه البارون باختطافها، فأرجعها إلى منزلها وتوجّهت امتثالا لما وعدت به نفسها إلى الكنيسة، وأقامت فيها تخدمها في الوقت الذي تفشّى فيه الطاعون، وأهلك النّاس، وأصيبت "**لوسيا**" لكنّها امتثلت للشّفاء.

وصل "**رينزو**" المدينه وهاله منظرها، وتشوّه النّاس من الوباء، واختلاط الأمور، والأوضاع، وعموم الفوضى، فتوجّه إلى مقابلة "**لوسيا**" التي أعفاها الرّاهب من الحجاب، حتى تتزوج "**رينزو**"، أمّا "**رودريغو**" فأهلكه الطّاعون ولم يعترض طريقهما.

وصف الرّوائي الطّاعون، وأحداثه، وآثاره، ووقعه بين الأهالي، واتّخذه الرّوائيّ وسيلة كاشفة لبعض الموضوعات المهمّة المطروحة في الرّواية، كموضوع الجبن، ونفاق الأساقفة، والحكم المستبد، وجعل الرّوائي هذه الصفات لصيقة بالطبقة المترفة ورجال الكنيسة، في حين جنّد أبطاله المتبقّين بالّشجاعة، والتّحدي، وجعلهم من الطبقة العادية والفقيرة، كما تطرّق إلى موضوع الحب، والعلاقة الثّابتة بين بطليْ الرّواية؛ فرغم الأوضاع، والعقبات التي

وضعها أمامهما حاكم الاحتلال الإسباني، استطاع البطلان الزواج، والسّخرية من الظلم، كما كان للوباء دور في إشغال السّلطات، والمجتمع ونصرة المحبين[1].

➢ **قناع الموت الاحمر: أدغار ألان بو allan poe edgar:1842**

تصنَّف الرّواية ضمن أدب الرّعب، وتدور أحداثها في دير محصّنة للأمير السّعيد، والشّجاع، والحكيم "**بروسبيرو**"، حيث يلجا رفقة نبلاء آخرين إلى هذه الدّير هربا من الموت الأحمر، وهو طاعون مرعب بأعراض مروّعة، كالآلام الحادّة، والدواخ المفاجئ، والنّزف الغزير من المسام، فيموت الضّحايا بعد نصف ساعة من إصابتهم، لم يكترث "**بروسبيرو**"، وحاشيته بمعاناة السكّان، وفضّلوا ترقّب نهاية الوباء برفاهية وأمان خلف جدران ملجأ الدير الآمن، مع إحكام إقفال الأبواب.

و يقيم "**بروسبيرو**" حفلة تنكّرية في إحدى اللّيالي لتسلية زوّاره ضمن سبع غرف ملوّنة في الدّير، كلّ واحدة من الغرف الستّ مزيّنة، وملوّنة، دقّت السّاعة في منتصف اللّيل بصوت ينذر بالسّوء، ولاحظ المحتفلون شيئا غريبا في الظّلام، شخصا متنكّرا يجول وسط الحضور بثوب ملطّخ بالدّماء، يخافه الحضور، لكن "**بروسبيرو**" رفع خنجره مطالبا الزّائر بالكشف عن هويّته، عندما التفت الضّيف إليه لمواجهته أطلق "**بروسبيرو**" صرخة مدوّية، ومات في تلك اللّحظة. اجتمع الحضور حول القاتل، ونزعوا عنه الثّوب، والقناع فإذا به هو فارغ ليس في جوفه شيء، فأدرك الجميع أنّه الطّاعون متنكرا، وأنّ العدوى أصابت الجميع، ومن الضروري الاستسلام للموت، في دلالة رمزيّة للطّاعون مفادها أنّ الحياة باختلاف ألوانها هي حفلة كبيرة، مهما حاول أبطالها التنكّر للموت لن يفلحوا أمام حتميّتة التي لا تفرّق بين غنيّ، وفقير، سيد، وعبد[2].

[1] منى غنيم، قراءة تحليلية لرواية مخطوبون، 2020، بوابة الشرـوق، https. www.shorouknews ://com، تمت زيارة الموقع في 11/02/ 2023، الساعة 14:16.

[2] أدغار ألان بو، قناع الموت الأحمر، ترجمة: رحاب عكاوي، دار الحرف العربي للطباعة و النشرـ بيروت، لبنان، ط1، 2009، قراءة في الرواية.

➢ **المنزل الكئيب 1853 لتشارز ديكنز : charles dickens**

تتناول الرّواية قضيّة العدالة الاجتماعية في ظلّ القضاء الإنجليزي الفاسد آنذاك، فشخصيّة رجل القانون السيد "**تلكنجهورن**" لا تفوت فرصة قانونيّة واحدة إلا واستغلتها في حياتها الاجتماعيّة، وهو استغلال محميّ من القضاء فينفّذ باسم القانون، وهو حق مدعوم كذلك من المجتمع؛ إذ أنّهم يؤمنون أنّ القانون العادل هو ما يدّعيه رجل القانون ويفعله، وبالتّالي تصبح الإشكاليّة التي يطرحها الرّوائي هي القضاء في مواجهة صامتة مع العدالة الاجتماعيّة، أين يتم توزيع الثّروة في المجتمع للأفراد على أساس الطبقة التي ينتمون إليها، ومن هذا المنظور اللّاعادل بنى الرّوائي عالمه في الرّواية، بأن تتخبّط جميع الشخصيّات في صراعات بعد علمهم بإرث عظيم موجه لهم، سينتشلهم من غياهب الفقر، لكنّ المؤسف في الأمر هو تخلّيهم عن مباهجهم وقطعهم لعلاقات كانت تجمعهم بمن يحبون، فيلتجئ الكلّ إلى منزل كئيب بعد حسمهم موقفهم، وإعلانهم انتصارهم إلى عالم المادّة والمال، والانتماء إلى الطبقة الأرستقراطية، حيث وجدوا أنفسهم مرغمين على التضحية بما هو أسمى، لكن ما كان غير متوقّع بقي عالقا في مخيّلتهم، إذ فرض تواجدهم في المنزل الكئيب واقعا أفضع؛ حيث اجتاح القرى الفقيرة مرض الجذري، وأخذ الوباء في الزّحف وصولا إلى المنزل الكئيب، والتباعد لوقف انتشار الأوبئه حسب الرّواية هو مجرد وهم خاصّة بعدما طال الوباء أولئك المترفين من الطبقة الأرستقراطيّة، الذين ظنّوا أنّ مناعتهم عالية وراء جدران القصور، لكن أمام الوباء يصبح توزّع ظلمه وفتكه بالجميع عدلا في مجتمع طبقي.

طال الوباء الورثة، وقبل أن تُستنفذ شروط الوصيّة مات الواحد تلو الآخر، ضحايا للجدري وصولا إلى الفتى "**جو**" الذي مات متشردا، وأصيبت "**أستير**" وتشوّه وجهها بعد رعايتها للصّبي المتشرد "**جو**"، ونجت بأعجوبة لكي تكون شاهدة على كلّ ما حدث في المنزل، ولتبكي حسرة على عالمها الجميل الذي تركته من أجل وصيّة ظالمة جرّدتها هي والشخصيّات التي معها في المنزل من جمال الحياة رغم بساطتها، وفي الأخير لا تنفّذ الوصية بسبب اختراق الفتاة لشرط من الشّروط، وهو مغادرة المنزل قبل الوقت المحدّد، وهي الفرصة التي لطالما انتظرها رجل القانون مع حاشيته للاستيلاء على الإرث باسم القانون، لكن لم يسعفهم الوباء

لفعل ذلك، في رسالة من الرّوائي مفادها أنّ العدالة الاجتماعيّة تقتضي موت الفاسدين، وتستمر الحياة من خلال من فقهوا الدرس، وانتفعوا بمغزاه وهذا ما جسّدته نجاة "**أستير**"[1].

- **الطاعون القرمزي 1912: jack london**

تناولت الرّواية أحداثا خياليّة حول انتشار وباء هائل، لا يمكن السّيطرة عليه، يقضي بعد ستين عاما على معظم سكان الأرض، ويكون النّاجي الوحيد هو الجدّ "**جيمس سميث**"، مع قلائل آخرين، ويتولّى بعد ستين سنة رواية ما حدث له وهو صغير لأحفاده، الذين يعملون صيّادين بدائيّين، وجامعي ثمار في عالم مستقرّ، غير مزدحم لكنّه يخلو من أي مظاهر للحضارة أو التطور؛ لأنّ الوباء قضى على معالمها، فتختفي الأنظمة، ويعود الإنسان للاستئناس ببعض الحيوانات، ويبيد بعضها الآخر المعادي له بأسلحة ما قبل التاريخ، ليكون الطّاعون القرمزي في الرّواية محيلا قويّا للتفكير في النّهاية، فيطرح سؤالا مهمّا هو: هل يمكن البدء بعد النهاية؟ وكيف سيكون ذلك؟

تناول الرّوائي في هذا السّياق مواضيع مهمّة حول تطور الإنسان، ونموّ سلوكه، وتطوّر عقليّته، ودوره في نمط حياته، بما في ذلك البعد الأخلاقي للوجود الإنساني، فكان الوباء نقطة تحوّل حاسمة لمستقبل مختلف عمّا نتركه وراءنا؛ لأنّ الكارثة كافية لدفع الإنسان إلى إعادة التفكير في سلوكه؛ فالماضي بالنّسبة للجدّ رغم التطوّر الحضاري كان هشّا أمام فتك الوباء، الذي كشف جشع المجتمع، وتوحّشه، فلم تكن نجاة الجدّ بين اللّصوص، والعصابات، والجائعين، المستعدين للانقضاض على كلّ ما يتحرك سهلة أبدا.[2]

- **موت في البندقية 1922 لتوماس مان:Thomas mann**

تدور أحداث الرّواية في ألمانيا بطلها "**غوستاف فون أشينباخ**" كاتب ألماني معروف من "**ميونخ**"، في الخمسين من عمره، يقوم برحلة بعد إصابته بحالة من الاضطراب النفسي إلى الشاطئ الأدرياتيكي، تنتهي به في مدينة "**البندقية**"، التي لا يحبّها، ولا يشعر فيها بالارتياح، فيمكث في فندق "**ليبو**"، ويلتقي فيها بشاب بولوني يأسره بجماله، فيتكتم الكاتب

[1] شارل دينكز، البيت الكئيب، ترجمة: هاني تابري البيت الموحش، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1995.
[2] جاك لندن، الطاعون القرمزي، ترجمة: الزهراء سامي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ط1، 2020.

الخمسيني على حبّه المثالي للشّاب "**تادزيو**"، ولا يكفّ عن مطاردته سرًّا في شوارع "**البندقيّة**"، حتى عندما تفشّى وباء الكوليرا، ودخلت المدينة في حالة من الفوضى العارمة استمرّ الكاتب في ملاحقة الفتى، والتنعّم بالنظر إليه، والأكثر من ذلك أنّ الشّيخ الخمسيني أُصيب بالوباء، واعترته الحمّى، ورغم إدراكه لمصابه لم يكف عن ملاحقة الفتى بخطى تتثاقل يوما بعد يوم، حتى أردته طريحا في الشاطئ(المكان الذي قصده الفتى)، ويلاحظ الفتى أنّ الرّجل الذي يراه كلّ يوم في طريقه قد سقط، فيتّجه إليه، ويراعي مسافة انتقال العدوى، ويلازمه، فيموت بعينين رقيقتين محدّقتين إلى الفتى رمز الجمال المثالي في مشهد رائع وظّفه الرّوائي توظيفا جماليًّا فائقا.

مثل وباء الكوليرا في هذه الرّواية الحافز على الموت بوصفه مادّة إغراء، ورغبة تتعالى على الموت[1].

- **حصان شاحب فارس شاحب pale rider PALE Horse : كاثرين آن بورتر katherine anne porter 1939**

وهي رواية قصيرة للكاتبة و الروائية الأمريكية كاثرين آن بورتر katherine anne porter، قامت بنشرها عام 1939 و اعتبرت من أفضل أعمالها، و تدور أحداثها في عام 1918، خلال وباء الإنفلونزا الذي قتل الأمريكيّين أكثر ممّا فعلت الحرب العالمية الأولى بخمسة أضعاف، هذه الإنفلونزا التي سمّيت بـ"الإنفلونزا الاسبانية"، وقد أبدعت الكاتبة في تصوير أحداث الوباء[2].

وكان لابد من الإشارة إلى أنّ الرّوائيّة نفسها أصيبت بهذا الوباء في العام نفسه، وكتبت الرّواية من داخل المستشفى ما يعنى أنّ أحداث الرّواية، وكلماتها قد عايشت الوضع، فكُتبت من عمق المعاناة، ما سمح للرّوائيّة بأن تتفوّق بذلك التصوير المبهر، الذي يُشعرك بشدة ألم المصابين، وبحجم الكارثة التي خلّفها هذا الوباء، كما استطاعت أن توصل لنا مشاعرها وتجعلنا ننظر بعينيها إلى ما تراه يوميا في المستشفى، وكيف أنّ النعوش لا تتوقف،

[1] توماس مان، الموت في البندقية، ترجمة : كميل قيصر داغر، أزمنة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2014.
[2] كاثرين بورتر، حصان شاحب فارس شاحب، المكتبة المعاصرة، 1939.

وكيف كادت أن تُباد أمريكا من أصلها، ليكون الوباء بهذا المنظور كاشفا واقعيّا على هشاشة النظام الصحّي، رغم ما تتمتع به أمريكا من تطوّر في جميع المجالات، فإذا كان الوباء حصانا شاحبا متمرّدا، فإنّ أمريكا التي تعد فارسا لهذا الحصان يُرتجى بقوّتها التحكم فيه، وإيقافه، فشلت في ذلك؛ فهي فارس شاحب، وهذا ما أدّى إلى تفشّي الألم، والمعاناة جسميّا ونفسيّا.

- **الطاعون لألبير كامو albert camus :1947**

سرد أحداثها الرّوائي الفرنسي "**ألبير كامو**"، عرفت نجاحا فرنسيّا، وعالميّا منذ صدورها، اختار الروائي مدينه وهران الجزائرية التي كانت تحت وطأة الاستعمار الفرنسي مسرحا للأحداث، فجمع في أحداثها بين الرّواية الواقعية، وشبه المتخيلة في الآن ذاته، لأنّ مدينة وهران بحسب المراجع التاريخيّة لم تشهد هذا المرض في تلك الفترة بالذّات، وعانت منه في القرن الثّامن عشر خلال الاحتلال الإسباني.

انتشر وباء الطّاعون حسب الرّواية في المدينة، وأوقع ضحايا كُثر، وعزلها عن الجوار، وبدأ الأمر باكتشاف الدكتور "**برنار ريو**" أحد أبطال الرّواية أنّ المدينة في حالة وباء؛ إذ أُصيب حارس المبنى الذي يقطن فيه بمرض قضى عليه، إضافة إلى كثرة الجرذان الميتة، والمتعفّنة في كلّ مكان، ولا يلبث الوباء في التفشّي حتى يكون الدكتور كذلك ضحيّة له، إلّا أنّه يمتثل للشّفاء بعد اكتشافه دواءً للطاعون، على إثر هذه الأحداث تقرّر السّلطات غلق المدينة، وعزلها لمحاصرة الوباء.

وعندها يسود الهلع، ويقرّر الصحفي الفرنسي "**ريمون رامبر**" مغادرة وهران إلى باريس، أمّا "**كوتار**" فيستغل الأوضاع لممارسة نشاطه غير القانوني في هذا الجو المبهم، لكنّه في النّهاية يصاب بالجنون.

أحدث الوباء حالة من الخراب المادّي، والاجتماعي في المدينة في الوقت الذي عملت فيه المخابر الطبيّة على تحويل الدواء، الذي اكتشفه الطبيب إلى لقاح أدّى إلى تراجع الوباء شيئا فشيئا ثم زال.

ورمز الرّوائي بالوباء في هذه الرّواية إلى النّازية التي كانت قد بدأت تنتشر، مشيرا إلى أنّ نجاح زحفها لن يؤدّ إلى الخراب في كل الميادين، وليست مقاومة الوباء في الرّواية إلّا مقاومة للوباء الهتلري المتفشّي في ألمانيا، وأوروبا.[1]

- **اليوم السادس le sixiéme jour : أندريه شديد andrée chédid 1960**

تعد رواية الروائيّة الفرنسيّة "**أندريه شديدandrée chédid** " اليوم السادس من أكثر الرّوايات التي تستشف الواقع بعمق؛ إذ نجدها في بداية روايتها التي صدرت عام 1960 تحاول التأكّد من أنّ القارئ لن يعتقد، ولا يشك ولو للحظة في أنّ ما سوف يقرأه هو خيال، أو من أباطيل الأساطير، بل هو حقيقة، ليتصدّر قول **أفلاطون** روايتها في قوله:" استمع .. ستظن أنّ هذه أسطورة، ولكنّها في رأيي منقولة، فاستمع إلى ما سأتلوه عليك على أنه حقيقة".

ولعلّ الأحداث و المجازر التي خلّفتها الكوليرا المصوّرة في روايتها، هي التي جعلتها تقول ما قالته في البداية؛ إذ تدور الأحداث حول تفشّي وباء الكوليرا في قرية من قرى القاهرة؛ إذ فتك هذا الوباء بها، ومازاد من حرقة أهل هذه القرية أنّ مصلحة مكافحة الوباء تعزل المصابين في الخيام، وتحرق الموتى والديار، وتصوّر شناعة الموقف تصويرا دقيقا موجعا، تقشعر له الأبدان، فأصبح أهل القرية يخفون مرضاهم، وموتاهم حتى يحافظوا على كرامة أجسادهم، ويدفنوا موتاهم في المقابر، في جوّ وصفته الرّوائية بفراغ الوباء، حين سُلب من الإنسان حتى حق الموت الكريم والدفن.

وتتقدم أحداث الرواية من خلال زيارة "**أم حسن**" إلى القاهرة بعد غياب دام سبع سنوات، لتجد الهلاك قد حلّ بالقرية، و تشهد مواجع أهلها، ولم تجد من يستقبلها هناك إلّا الأموات، فلا فلّاح، ولا حيوان، ولا طفل يرقد فوق سريره، سوى الوباء الذي أودى "**بسلمى**" أم صالح وشقيقة "**أم حسن**"، حتّى مولّدة القرية التي كانت تضحك بأعلى صوتها، فإذا بها جثة يخبؤها أبناؤها في الخزانة كي يدفنوها الليلة سرّا.

[1] ألبير كامو، الطاعون، ترجمة: كوثر عبد السلام البحيري، المؤسسة المصرية العامة لتأليف والطباعة والنشر، القاهرة، مصر،ط1 ،1947.

و تقرّر البطلة أن تحافظ على حياتها، وحياة حفيدها، الذي بدأت الأعراض تظهر عليه، فتغادر القرية بحثا عن مكان آمن رفقة أحد الشبّان الذي كان مولعا بجمالها الأوربي، رغم أنّها كانت تكبره سنّا، وتتردد في رحلتها على أماكن مختلفة من التي لم يستفحل فيها الوباء بعد، على أمل بلوغ الحفيد اليوم السّادس، أين سينجو من الموت حسب ظنّها؛ لأنّ الكوليرا إذا اجتاز المصاب بها ستة أيام ينجو. كما عرضت الروائيّة حرص الجدّة، ورفيقها الشّاب على توخّي قواعد النظافة، في ظل الجهل القروي؛ فالسكان لم يتأخّروا في ممارسة كلّ ما يجلب التعفّن من سلوكات اعتادوها يوميّا، لكن وبعد كدّ، وجدّ يموت الحفيد، وتتوقف الحياة بالنسبة للجدّة، حتى وعود الحب المقدّمة إلى الشّاب في حال نجاة الحفيد تبخّرت فجأة بإعلانها التوقّف عن كلّ مباهج الحياة، وعن عدم توخي الحذر الشديد كما كانت تفعل، حتى ينال منها الوباء، وتلحق بحفيدها، في رمزيّة رائعة تجمع مواضيع عدّة كالحب، والتضحية، والتطهير، مع براعة الروائيّة في تصوير مرارة الأحداث، وبشاعة المناظر[1].

- **عيون الظلام لدين كونتز 1981: dean toontz**

يتوقع فيها الرّوائي ظهور فيروس في مدينة ووهان الصينية، والمفاجئ أنّ الرواية تبدو في مستهلها بوليسيّة، لتتحوّل بدءا من الفصل الثاني إلى التخييل العلمي، حيث تتلقى "**تينا إيفانس**" خبر مقتل ابنها "**داني**" في حادث سيّارة من الشرطة، مع نصيحتهم لها بعدم البحث عن التفاصيل والكشف على مكان الجثة، ولا تمضي سنة حتى تكتشف الأمّ الجملة مكتوبة بالطبشور على اللوح الأسود الذي يملكه ابنها (لعبة أم حقيقة) تصاب بصدمة، وتقرر خوض مغامرة البحث عن ابنها الذي كان قد قصد الصين في رحلة سياحيّة، لتدخل في مغامرة أخرى تكتشف فيها أسرار الفيروس الصيني، واحتجاز ابنها في مختبر عسكري هناك.

ورد في الرّواية اسم مدينة ووهان كمصادفة غريبة رغم أنّ الرواية توغل في التخييل العلمي، لكن الأحداث تتشابه مع ما حدث في العصر المعاصر باجتياح فيروس خطير للعالم مؤخرا هو فيروس كورونا.

[1] أندريه شديد، اليوم السادس، ترجمة حماده إبراهيم، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2002.

والمفارقة أنّ العلماء في الرّواية وفي الواقع مؤخرا قاموا باختراع الفيروس في مختبرات تابعة للجيش الصيني في سياق برنامج الأسلحة البيولوجيّة في الحروب فسمى الرّوائي الفيروس في روايته بـ"**ووهان 400**" واصفا إيّاه بالسّلاح المثالي جرّاء تأثيره في البشر، الأمر ذاته الذي حدث مؤخرا مع فيروس كورونا، ممّا يجعل الرّواية في مصاف الأعمال الاستشرافية.

حضر الوباء حضورا بيولوجيّا منذرا بخطورة ودقة الحرب، وتحوّل وسائلها من أسلحة نوويّة إلى أخرى بيولوجيّة يتم تصنيعها، وتصديرها دون أيّة خسائر؛ ذبابات، أو طائرات...[1].

الحب في زمن الكوليرا 1982 لغبريال غارسيا ماركيز:Gabriel Garcia marquez

حضر وباء الكوليرا في الرّواية حضورا طريفا، وغير مأساوي، ولم يكن إلّا خدعة، أو حيلة اعتمد عليها بطل الرّواية، ليستفرد بحبيبته على متن سفينة نهريّة، بعدما طاردها لسنوات وعقود، وقد بلغ كلاهما سنّ الشيخوخة، إنّها رواية حب بين "**فلورينتو**" و"**فارمينا**"، تبدأ منذ المراهقة، وتستمر إلى ما بعد بلوغهما السبعين، وتسرد ما دار من حروب أهلية في منطقة "**الكاريبي**"، وما طرأ من تحوّلات في الاقتصاد، والسياسة، والتكنولوجيا، والحياه عموما.

تبدأ أحداث الرّواية في نهاية القرن 19 في قرية صغيرة في "**الكاريبي**"، يتفق عامل تيليجراف فقير، وتلميذة جميلة على الحب مدى الحياة والزواج، لكن الحبيبة تخون الوعد وتتزوّج من طبيب. يحافظ العاشق المهزوم على حبّه، ويسعى إلى تكوين ثروة حتى يكون جديرا بحبيبته، التي لم يكف عن حبها طوال تلك الأعوام.

عندما بلغ "**فلورينتو**" و"**فارمينا**"السبعين، كتب لها رسائل عدّة موضوعها الحب، والحياة، والزواج، والشيخوخة، فنالت رضاها؛ إذ ساعدتها الرسائل على تقبّل الشيخوخة، والموت، أمّا هو فظلّ يراها حبيبته رغم ما فعلت به السنون.

[1] سـعيد بوطاجين، مرايا عاكسـة، الأدب والأوبئة، بحث على موقع www.mculture.gov.dz، اطلع عليه يوم 12/04/ 2023، على الساعة 11:19.

دعا "**فلورينتو**" حبيبته لمرافقته على متن سفينته الخاصّة في رحلة نهريّة، وكان معهم ركاب آخرون فوافقت، وهنا اقترب منها أكثر، وأدركت أنّها تحبّه فعلا على الرغم من شعورها بأنّ عمرها المناهز للسّبعين لم يعد صالحا للحب، ومن أجل انفراد الحبيب بحبيبته، وعيش لحظات جميلة يريدها طويلة، ولا نهاية لها، تخلّص من المسافرين على متن السفينة معتمدا خدعة مفادها أنّ السّفينة تحوي وباء الكوليرا، مضت السّفينة رافعة علم الوباء الأصفر، ولم تكن ترسو إلا للتزوّد بالوقود، لكنّ خدعة الوباء لم تمر بسهولة بل أحدثت حالا من الذعر في المدينة.

يتوازى في الرّواية حضور أمرين متناقضين، وهما الحب وما يرادفه من جمال، وحياة، ونشاط، وانتعاش، واستمرار....، والأمر الثاني هو الوباء، وما يجلبه من مرادفات كالموت، والحزن السّأم، والبلادة، والتحجّر، والانكماش، في رمزية رائعة أرادها الروائيّ أن تكون فيها السّلطة للحب الذي لابد له أن يحيى، رغم قتامة الظّروف، وكارثيّة الأوضاع[1].

- **المنصة لستيفن كينغ ephen kingst:1987**

تقدم الرّواية صورة عن صراع الخيرّ والشر المستمر في كل العصور، كما تعرض فكرة الحرب البيولوجيّة المتآمرة ضد حياة البشر.

وتبدأ الرّواية في قاعدة نائية للجيش الأمريكي، أين يتم إطلاق أحد سلالات مرض الأنفلونزا المختلق، يصيب المرض "**تشارلز كامبينون**"، فيهرب رفقة زوجته إلى "**تكساس**"، لكن الجيش يتمكّن من العثور عليه بعد نشره للوباء، فيقبض عليه ويتمّ وضعه في الحجر الصحّي. يبدأ المجتمع في الانهيار بسبب الوباء، وبسبب السياسات القمعيّة من قبل السّلطات تجاه المواطنين، فيموت النّاس بسبب العنف، والوباء على حد سواء.

ويتوجه بعض الناجين إلى الأم "**أبيغل**" القديسة المسيحية ذات المئة وثمانية أعوام، فتستغل الأوضاع، وتربط الوباء بالدّين بعد تمكّنها بواسطة أفكارها عن الرّب، وقوى الخير من إقناع النّاس بالالتفاف حول الكنيسة، فيتشكل مجتمع جديد مهيّأ لمواجهة الخير، والشّر

[1] غابريال غارسـيا ماركيز، الحب في زمن الكوليرا، ترجمة : صـالح علماني، مكتبة نوبل، دمشـق، سـوريا، ط1، 1991.

بأبعاد توراتية، خاصّة مع صعود مجتمع موازٍ آخر يحكمه "فلاج" الذي يمتلك قوة عسكرية تمكّنه من التعذيب، والإعدام لفرض سيطرته.

تتصاعد الأحداث بين مجتمع الأم "**أبيغل**"، ومجتمع "**فلاج**" الذي أصبح يهدّد المجتمع الروحاني للأم، وتنتهي الرّواية بتساؤل حول ما إذا كان الجنس البشري يمكنه التعلّم من أخطائه، مع جواب غامض مقتضب، وهو لا أعرف، ليكون الوباء في هذا العمل رمزيا يطرح صراعا أبديا بين قوى الخير والشر المشكّلان للعالم، ونهايه هذا الصّراع غير محسومة لأي طرف.[1]

- **الطاعون في نيويورك للكاتبين الأمريكيين غينيث كرافنوسravnosk gyneth وجون مارmar john 1989**

يتخيل الروائيان وباء الطّاعون قد حلّ بمدينة "**نيويورك**" الأمريكية. تعود فتاة من إجازتها في "**كاليفورنيا**" إلى شقّتها الفخمة في "**بارك أفينيو**"، لتكتشف أنّ عارضا من السعال الحاد يصيبها، فتنتقل إلى المستشفى، وما أن يُكتشف مرضها الذي هو الطاعون حتى يبدأ في الظهور، والتفشي في منطقه "**مانهاتن**"، هنا يبدأ دور الأطباء، والممرضين الذين يعلنون حالة الطوارئ لمواجهه الزّائر القاتل، وتعمّ الفوضى في كل الأرجاء، ورغم تجنّد الطّاقم الطبّي لمواجهة الكارثة، فإنّ الأمور تنفلت، لتبقى مبادرات المجال الطبّي مجرد محاولات لوقف انتشار الوباء ليس إلّا، ثم يبدأ الطّاعون في التراجع شيئا فشيئا دون مبرّر لذلك، كما كان ظهوره حسب الرّواية دون مبرر كذلك.

لم تخل الرّواية من دقة العلم ومصطلحاته، وكذلك لم تخل من الخيال، والتهويل لكن الأمرين لا يجعلانها هنا في مصاف الرّوايات العلميّة، أو روايات الخيال، والوباء موظّف فيها لفضح هشاشة الأمن الصحّي في أمريكا والعالم الحديث[2].

---

[1] عائ شة فؤاد علي، رواية الرعب بين ستيفن كينج و أحمد توفيق، درا سة مقارنة، مخطوط ر سالة ماجي ستر، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 2020، ص 35 إلى 41.

[2] عبده وازن، الأوبئة تجتاح الروايات، 2020، https// www.independentarabia.com، تمت زيارة الموقع في 04/ 12/ 2023، على الساعة 11:19.

2.2.3 الرواية العربيّة

- **رواية الأيام لطه حسين 1929**

نشرت هذه الرواية سنة 1929، تقترب كثيرا من فن السيرة الذّاتية في الأدب العربي الحديث، وهي حسب رأي النقاد من أروع ما كتب طه حسين، وفي هذا الكتاب حاول طه حسين تقديم حياته انطلاقا من نشأته في قريته الصغيرة بصعيد مصر، كما يشرح مسيرته الحزينة التي يواجهها خلال دراسته من الكتّاب إلى الجامعة، متنقّلا في تعليمه من الابتدائي إلى أن أصبح عميدا في الجامعة، مستخدما في الحديث عن نفسه كلمة " **صاحبنا**" بدل أنا، وقد ضمّن هذا كله في ثلاث أجزاء؛ أمّا الجزء الأول كان يصف فيه وصفا مؤثرا آلام أبويه وتفجّعه لوفاة أخته، وأخيه، على إثر إصابته بوباء "**الكوليرا**" أثناء تطوّعه لعلاج المرضى بقرية الكيلو بـ"**المينيا**"، وتركت هذه الحادثة جرحا غائرا في نفس عميد الأدب العربي؛ لأنّ شقيقه كان أقرب الناس إليه، لذلك برع الروائيّ في نقل صور أليمة، ومخيفة يقشعر لها القارئ، من خلال العبارات، والكلمات المؤثّرة.

و يتجلى في روايته الشعور بالألم، وقمة الوجع في الإفصاح عن مكنون الذات المعذبة، التي تئن تحت نير الوباء الذي لا يرحم، فتنتشر ضروب النهايات غير السعيدة بين البشر، إذ تعبر الرواية عن انتشار وباء الكوليرا في مطلع القرن العشرين، ووصف لوعة فراق الأهل، والغصة التي لاحقت طه حسين لسنوات عديدة، وكمية الأسى الذي خلّفه فراق أخيه طالب الطب لأهله، وله بسبب هذا الوباء، جاء في الرواية قول فيما معناه أنّ الوباء هبط إلى مصر ففتك بأهلها فتكا ذريعا، ودمر مدنا وقرى ومحا أسرا كاملة.[1] فكان الوباء بهذا هو وجع إنسانيّ يترجم الفقد والانكسار وزوال السند، والأنس، وعدم اجتماع المرء مع من يحب من ذويه.

- **رواية ملحمة الحرافيش لنجيب محفوظ 1977**

نشرت عام 1977، وتحكي هذه الرواية قصّة أسرة فارة من وباء الطاعون، الذي قضى على الحارة المصرية، وفتك بأهلها، وقد جاء في الرّواية: «**تفاقم الأمر واستفحل، دبّت في**

[1] طه حسين، الأيام، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1929.

ممر القرافة(المقابر) حياة جديدة.... يسير فيها النعش وراء النعش .... يكتظ بالمشيعين، وأحيانا تتتابع النعوش كالطّابور، في كل بيت نواح، بين السّاعة والأخرى يعلَن عن ميّت جديد... لا يفرّق هذا الموت الكاسح بين غني ولا فقير، قوي ولا ضعيف، امرأة ورجل، عجوز وطفل، إنّه يطارد الخلق بهراوة الفناء، وترامت أخبار مماثلة من الحارات المجاورة، فاستحكم الحصار، ولهجت أصوات معوّلة بالأوراد، والأدعية، والاستغاثة بأولياء الله الصّالحين» [1]. يستطيع القرّاء بسهولة أن يلتمسوا عمق الأثر الذي خلّفه الوباء في الحارة، وقدرة الرّوائيّ على وصف أعراض هذا الوباء بدقّة، وهنا يأتي دور عنوان الرّواية، وسبب اختيار هذه الفئة بالذّات لحديثه عن الوباء، فكما هو معلوم عن هذه الفئة من النّاس، أنّ طريقة عيشها فوضوية، تقوم على نظام الجماعات، وكذا التجمّعات في المقاهي والأسواق الشعبية، والدكاكين، والخرابات...، وغيرها مما لا يخلو عادة من تجمهر النّاس، هذا التلاقي الدّائم وفّر البيئة المناسبة تماما للوباء، وساهم في انتشاره بسرعة، مقابل جهل الحرافيش، وقلّة وعيهم بما يحدث؛ فسبب علّتهم هو جهلهم بضرورة الوقاية، وأخذ الاحتياطات اللّازمة التي لطالما نادى بها شيخ الحارة العمّ حميدو، لكنّهم رفضوا الانصياع، فلم يتوقف موكب الموت ساعة واحدة، حتى قضى على الجميع. ويعود الأب النّاجي الوحيد إلى المنطقة بعد انتهاء كلّ شيء، ليصبح سيّدا على من يسكنها من بعده، ويقرّر أن يبدأ بالعمل على إعادة ترميم، وتأسيس هذه الحارة من جديد لكي تكون كما كانت عليه قبل الوباء الذي دمّرها، فيبدأ أوّلا بتقسيم الأموال بين أفراد حارته، وهنا يكون شديد الحرص على العدل بين النّاس، كما يقوم بحماية الضعفاء، ويكون سندا وعونا لهم في كلّ مشاكلهم التي يواجهونها، كما كان ملتزما بالدّين، والتديّن، والزهد، كلّ ذلك من أجل عدم الاغترار، والتباهي بالسّلطة، وبعدها تتتابع، وتتوالى قصص الصراع ما بين العدل، والظلم، والحق، والباطل، بين الأحفاد في عشر قصص، إلى أن يأتي أحد أحفاد السيّد عاشور النّاجي، وهو ذلك الحفيد الذي يعمل على الاقتداء بسيرة جدّه الأكبر في إرساء قواعد العدل والمساواة، ونبذ الظلم والوقوف مع الحق دون أن يهاب، أو يخاف من شيئ.

[1] نجيب محفوظ، ملحمة الحرافيش، دار مصر للطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1977، ص31.

يجسّد الوباء من خلال هذه الرّواية الفلسفة الوجودية التي تبناها "**نجيب محفوظ**" في رواياته، فاختلطت في روايته معزوفة فذّة بين الضعف والقوة... الخير والشر، الأمل واليأس...، ونجد أنّ الوباء في هذه الرواية قد أضفى تأثيراته على عناصر العمل الرّوائي كافّة، خاصّة شخصية البطل، لتصبح هذه التحولات عنصرا بنائيا أساسيّا مشكّلا للرّواية [1].

- **سافاري لأحمد خالد توفيق 1996**

تدور سافاري وهي سلسلة روايات أدبية مصرية، في أجواء طبيّة من الأرض الإفريقية في دولة "**الكاميرون**"، بطلها "**علاء عبد العظيم**"، ذلك الطبيب المصري الشّاب، الذي يرحل من مصر إلى أدغال إفريقيا بحثا عن العمل والمال، وعن نفسه، وفي الأدغال يحارب "**علاء**" عمى الأنهار، والملاريا، والسّحرة الغامضين، والأفاعي والحرّ الخانق والموت، وقد حاول الرّوائي أن يضمّن أحداث رحلة "**علاء**" في كلّ قصّة من القصص التي تحتويها هذه السّلسلة بطولات وتحدّيات عظيمة.

و كتبت السلسلة بطابع علمي، وكوميدي ساخر، وقد صدرت لأول مرّة سنة 1996، تضمّنت 53 جزءا، ويحاول الكاتب في مقدمة السلسلة تقديمها من خلال البدء بالحديث عن عنوانها " **سافاري**"، إذ يقول أنّه مصطلح مأخوذ من اللغة السواحليّة، وهي كلمة عربية محرّفة عن سفريّة، وحين يتحدثون عن السّفاري، فهم يتحدثون عن رحلات صيد الوحوش في أدغال (إفريقيا).

ويتحدث الرّوائي في هذا السلسة على لسان الدكتور "**علاء**" الذي يخطّ مذكرات طبيّة ضمّنها "**أحمد خالد توفيق**" في كل قصة من سلسلته عن الأوبئة، التي ضربت بلدان أفريقيا، ويصف هذه الأوبئة باختلاف أنواعها بطريقة مازحة فيقول: «**هل تتعاطون اقرأ الوقاية من الملاريا؟ وهل تلقيتم لقاحات الحمى الصفراء والكوليرا و الطاعون؟ أحسنتم الصنع... لن نترك شيئا للظروف كما تعلمون... لا تنسوا أن هذا الإقليم موبوء بذبابة (تسي تسي) التي تسبب مرض النوم.. مضحك؟ لا ليس مضحكا على الإطلاق.. فمن النادر أن يذهب المريض به إلى مكان آخر غير القبر..هناك كذلك أمراض (عمى النهر)، و (كالا آزار)**

[1] نجيب محفوظ، ملحمة الحرافيش، قراءة في الرواية.

و..و..و كلها ليست مضحكة إلى هذا الحد.. ثم لا تنسوا (الإيدز)..»[1]، لمحة بسيطة دقيقة وعميقة يقدمها الطبيب "**علاء**" مختصرا معظم الأوبئة التي عصفت بأفريقيا مزلزلة بها قلوب شعبها، خاطفة الملايين من الأرواح، ومخلّفة الآلاف من الجرحى، في ظل محاولة منظّمة صحيّة غير حكوميّة مواجهته، والبحث عن أسبابه.

وتحضر الأوبئة المتناولة في السلسلة حضورا بيولوجيّا من خلال توصيف الرّوائي لأعراضها، وخصوصيّاتها، إضافة إلى كشفها لهشاشة النظام الصّحي الفوضوي في بلدان إفريقيا، والذي يقوم على خصاصة الأدوية واللقاحات، وعدم القدرة على توفير الجوّ المناسب لانحصار الأوبئة، ممّا يتيح العدوى، والانتشار بسرعة، فيموت من يموت، وينجو من ينجو، إلى أن يتراجع الوباء وحده، وهو أمر متوقع؛ إذ أنّ فتك الوباء لا تقاومه الدّول الأوربية المتطوّرة بعتادها الطبّي المتطوّر. فكيف تقوى عليه دول فقيرة لا تتوافر بيئتها على الحماية الكافية؟ ولا يستوفي نظامها الصحّي الشّروط اللّازمة؟

- **رواية أمريكا لربيع جابر 2009**

تسرد هذه الرواية ملحمة من دفعهم فقرهم، وحاجتهم، وقناعتهم إلى الاعتقاد أنّ الغرب هو سبيل نجاتهم، ففرّوا من سوريا الكبرى في السّنوات الأولى من القرن العشرين ليجرّبوا حظّهم في أمريكا النّاشئة.

وتخصّ الرواية بالذكر حياة أحد هؤلاء وهي "**مرتا حدّاد**"، الشّابة الفقيرة الجميلة، التي هاجرت إلى أمريكا من جبل لبنان إلى أمريكا بحثا عن زوجها، ويستعرض الرّوائي خلال روايته الشيّقة الأحداث، والمغامرات التي واجهتها هذه الفتاة في رحلتها هذه، وقد صوّرت بدقّة معاناتها هناك مع الحياة المختلفة، وتداعيات الحربين العالميّتين، ووباء الإنفلونزا الذي يخصّه الرّوائي بحديثه، بشيئ من التفصيل، وإن كان ليس بموضوع روايته، إلّا أنّه يتطرق للبحث، والسّؤال عن هذا الوباء الذي سُمّي بالإنفلونزا الإسبانية، والسّبب الذي جعلها تطرد خارج الذّاكرة البشرية، رغم ما خلّفته من موت للملايين، وقد انتشرت هذه الجائحة

[1] أحمد خالد توفيق، الوباء، سلسلة سفاري 1، روايات مصرية للجيب، المؤسسة العربية الحديثة، مصر، 1996، ص 7.

سنة 1918، واعتُبرت من أكثر الأوبئة فتكا بسبب تميّزها بسرعة العدوى، و الانتقال وقد كانت تستهدف على غير باقي الأوبئة البالغين، واليافعين الأصحاء، وهو السّبب الذي زاد من تساؤل "**ربيع جابر**"، ليصوّر تصويرا دقيقا ما عايشه هؤلاء المهاجرون، وما عانوه بسبب الوباء، حيث تمرّ يوميّا عربات تنادي النّاس في البيوت، لإلقاء جثث الموتى من الشبابيك بعد طغيان المرض، وتفشّيه لدرجة يصعب فيها فصل قبر كلّ إنسان على حدة، فهذه المشاهد المرعبة، والمخيفة وجدت طريقها في تصوّرات وتمثيلات لها دلالاتها الحزينة، والتي تمثّل الوجدان البشري خير تمثيل.[1]

- **رواية إيبولا 76 لأمير تاج السر 2012**

حاول فيها الرّوائي السوداني تفكيك ظاهرة الأوبئة التي فتكت بالمجتمعات العربيّة والإفريقيّة، كاشفا من كان سببا فيما وصلت إليه هذه الشّعوب من فقر، ومجاعة، وأمراض وأوبئة، وساعده في ذلك كونه طبيبا إلى جانب كونه روائيّا، كما أنّه عايش هذه الأمراض والأوبئة.

وتدور أحداث هذه الرّواية في عشش الكرتون، أحقر حيّ سكني في منطقة "**أنزار**" جنوب السّودان؛ حيث يكبر فيه بطل الرّواية " **لويس نوا**" على وقع طفولة بائسة، ليكبر و يصير شابا، ويجد عملا في مصنع النّسيج، وبعدها يقرّر الزواج من فتاة تسمى "**تينا**"، ليخونها من بعد زواجه بها مع خادمة الغرب في نزل للفقراء بـ"**الكونغو الديموقراطية**"، ليصاب "**لويس نوا**" بوباء "**إيبولا**" الفيروس القاتل الذي ضرب "**الكونغو**"، فيخترق جسده ليسكن دمه، وفي فكرة متهوّرة منه يقرّر العودة لبلده السّودان، ليكون الحلقة الواصلة بين الوباء، وبلدته أنزار في السّودان، كونه أوّل مصاب به، ليعمّ الدّمار بعد هذا كلّه في البلدة، و يصير الموت رفيق درب السّاكنين بها، ويقضي على العديد من سكّانها، ويصبح اللّعب، والمرح، والفرح حلما بعيد المنال على سكان البلدة وأطفالهم، وأصبح حلمهم الأوّل والأخير العودة إلى بلدتهم، التي كانت بلدة فرح، وسعادة، مبتهجة بالمحلات، والأسواق، والقصص، وعلاقات الحب الكامل، والنّاقص.

[1] ربيع جابر، أمريكا، المركز الثقافي العربي، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط2، 2010.

لتحمل الرّواية تبعات هذا الوباء الذي فتك بـ"**الكونغو**"، و"**وسط إفريقيا**"، و"**السودان**" سنة 1976، وما خلّفه من قتلى، ومرضى، وأرامل، ويتامى من نساء، وأولاد، ما يجعل القارئ يقف أمام تراجيديا حقيقيّة تمّ تصويرها بلغة الكلمات، التي استطاعت أن تلامس قلوب القرّاء، وتوصل لهم الاحساس بالألم، ومدى رعب الوباء، وما عانت الشّعوب منه في ذلك الوقت.[1]

- **رواية عُطارد لمحمد ربيع 2015**

نال بها صاحبها الجائزة العالميّة للرّواية العربيّة، "**جائزة البواكر العربية**" لعام 2016، وتدور أحداث هذه الرّواية عام 2015 بعد تعرّض مصر لاحتلال يستدعي نشاط خلايا للمقاومة، في مقدّمتها بقايا الشّرطة التي انسحبت، واختفت يوم 28 فيفري 2011، وهو يوم حاسم في الاحتجاجات الحاشدة التي أنهت حكم "**حسني مبارك**"، والتي كان بطل الرواية عطارد شاهدا لها.

وأخذت الرّواية بعد ذلك منحى دمويّا لما شهدته مصر في ذلك الوقت من دمار، و موت، صنّفه الرّوائي على أنّه وباء جنون، فبعد أن كانت آمال المصريّين معلّقة باحتجاجات 2011، جاء ما صدم المجتمع المصري، فبعد أن كانت المقاومة تتصيّد المتعاونين مع المحتل، وموظّفو الحكومة الكبار رحلوا، رحل الاحتلال فجأة وتدهورت الأوضاع من سيئ إلى أسوء، وهو ما سقط على قلوب الشّعب المصري كصاعقة، فتخلّوا عن الأمل، وأصبح الانتحار من الأشياء التي يسمع بها الناس يوميا، وتعودوا عليه، بالقفز من على الأسطح، ورجم بعضهم بعضا في الشّوارع حتى الموت، وعاشوا جحيما وعذابا أسوء حتى من الاحتلال، لتعيش "**مصر**" في حالة انعدام للاستقرار في ذلك الوقت، وأصبح بطل الرّواية "**عطارد**" يرى في قتل النّاس هو الآخر عادة لابد منها؛ إذ تعوّد على فعل ذلك في وقت الاحتلال، ويرى أنّه إذا ما كان الوطن في جحيم، فالقتل هو السّبيل لتخليص النّاس من عذابهم هذا، كما يتحدّث "**عطارد**" بطل الرّواية عن ميل رجال الشرطة إلى الانتحار بسبب الضغط النفسي الذي يواجههم.

[1] أمير تاج السِرّ، إيبولا 76، دار الساقي، السودان، ط1، 2012.

يلخص "**محمد ربيع**" في روايته هذه كيف استطاع المرض النفسي تدمير بلد بأكمله، ونشر الفساد في أرجائه، وإلحاق الموت بأهله بل القضاء على الملايين منهم بأبشع الطرق، وهو ما لم يفعله الاحتلال بهذا البلد، ليكون الوباء في هذا العمل منطلقه سياسيّ ومستقرّه نفسيّ؛ فالواقع السياسيّ المتردّي هو البيئة المُنشئة لوباء الجنون، الذي كشف مكنونات النّفس البشريّة الضّعيفة المستسلمة لكل الشّرور إذا مارامت ماتنشده من استقرار، وحياة كريمة [1].

- **رواية هالوسين لإسماعيل مهنانة 2018**

تختلف رواية هالوسين عن باقي روايات الوباء التي تناولناها سابقا، فقد كتب صاحبها الرّوائي الجزائري "**إسماعيل مهنانة**" عن تخيّلات اختلقها حول فيروس يسمى "**هالوسين**" ضرب "**جنوب إفريقيا**"، ومن أعراضه الخطيرة إصابة المريض بفقدان الذّهن القدرة على الرّبط الآلي بين الواقع، والمعاني، ودخوله في حالة هذيان، بحيث يكون تحت تأثير صوت داخلي يخرج من أعماقه، هو ما يوجّهه، ويتحكّم في قراراته، وقد اختصّ بالجهاز العقلي، والنّفسي ليكون مركز تأثير هذا الوباء في جسم الإنسان، ما يجعله مرضا نفسيّا وعقليا، أكثر منه مرضا بيولوجيا، وهنا بالذات تكمن صعوبة علاجه، والقضاء عليه.

تتحدّث الرّواية عن "**الحوّاس**"، وهو طالب في كليّة البيولوجيا، وكان فتى ملحدا لا دين له، أخذ يبحث عن والده الذي كان مناضلا شيوعيّا، وزعيم الحركة النقابيّة الاشتراكيّة للعمّال المغاربيّين، والذي أصابه مرض عقلي أدخله مستشفى الأمراض العقلية، بعيدا عن أهله، وابنيه من "**أم الحوّاس**". أخذ الفتى يبحث عنه، وعن حبيبته الهاربة "**إيمي**" التي أصابها فيروس هالوسين أيضا ما جعلها تختفي عن أنظار عائلتها وحبيبها، وبهذا يكون لاسم "**الحوّاس**" دلالة، وهي الباحث بصيغة المبالغة لدقة البحث وصعوبته[2].

حاول "**إسماعيل مهنانة**" من خلال الوباء المطروق في الرواية أن يوضّح بطريقته الفلسفيّة ما سيحل بالبشريّة؛ إذ يرى أنّها ستمرّ بمنعطفات تتغيّر الحياة فيها تغييرا جذريا، على اعتبار أنّ

[1] محمد ربيع، عطارد، دار التنوير للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2015.
[2] إسماعيل مهنانة، هالوسين، دار الجزائر تقرأ، الجزائر، ط1، 2018.

الأوبئة الكبرى كانت دوما عاملا حاسما في المنعطفات التاريخيّة الكبرى، ولا يستبعد الروائيّ صعود أنظمة شعبويّة، وكهنوتيّة، ويمينيّة متطرّفة إلى الحكم بعد كورونا، بعد ظهور موجات شعبيّة عالية تمجّد الدجّالين، وحتى وإن دعا الفلاسفة إلى اختراع الأمل باقتراح عقلانيّة جديدة تواكب المرحلة، إلّا أنّه لم يتردّد في تسفيه مركزيّة الإنسان، والتقزيم من اعتداده بنفسه، وهو المُعرّض للانقراض، كما انقرضت كائنات حاولت تسيّد الكوكب قبله.[1]

- **الآدميون لإبراهيم سعدي 2018**

ضمّن فيها الرّوائي الكثير من أجواء الخيال والغرائبية، واضعا لها عنوان "**الآدميون**" نسبة إلى "**بني آدم**"، والذي له دلالة غير اعتباطيّة في الرّواية؛ فهو يتحدث عن شخصيّات من عالم آخر، أشبه ما يكونون بوحوش مدمّرة، فلا يعرفون غير القتل، وسفك الدماء، والتلذّذ بذلك، فتسبّبوا في اختلال الأمن والسّكينة اللذين كانت تعيشهما المأمونة المملكة، التي هي بالنسبة للرّوائي المملكة المثالية، التي لا تشوبها الأخطاء، ينشد فيها المأمون السّلم، ويرنو إلى العيش السّعيد، وفي غرة الجريمة المفتعلة الأولى من نوعها تنقلب المملكة رأسا على عقب، والتي راحت ضحيّتها إحدى شخصيّات المأمونة، وباكتشاف جثة الضحيّة، يبدأ البحث عن الجاني، وقد عُدّ هذا الخبر غريبا عن أهل المأمونة، التي لم تشهد أحداث قتل من ذي قبل، لكونها مملكة مثاليّة، لم تعرف البغضاء، والعداوة قبل هذه الحادثة، فيجري البحث للوصول إلى فك اللغز، والوصول إلى القاتل، لتظهر علامات زمن التيه، والظلام الذي كان الآدميون سببا فيه[2].

ونجد أنّ رمز القتل و الموت، والعدوانية، والبغضاء، التي طغت في هذه الرواية، وما شهدته من دمار، وفساد بسبب المستعمر الغربي، جاء في صورة وباء غزا الدول العربية كافّة، فألحق بها الضّرر الجسيم، النفسي، والجسدي، وألحق الموت بأهلها، كما هو الحال في فلسطين، أين أصبحت أبسط أمنية هي الحصول على كفن تُغطّى به الأجساد.

---

[1] سـليم بوفنداس، حوار مع إسـماعيل مهنانة أسـتاذ الفلسـفة المعاصرة، مجلة النصر ـ الإلكترونية، العدد201، قسنطينة، الجزائر، 31 مارس، 2020.

[2] شريفة بوكاف، علاوة ناصري، إيديولوجيا الكاتب في رواية الآدميون ل إبراهيم سعدي مقاربة تأويلية، جامعة العربي التبسي ـ تبسة الجزائر، مجلة الدراسات الإنسانية، المجلد 16، العدد 02، السنة 2022، ص 212.

الخاتمة

- الوباء حقل دراسي خصيب في جميع العلوم التي تمت الإشارة إليها؛ انكبت حوله الدراسات منذ القديم؛ جنّد كلّ علم أدواته الإجرائيّة لتفسيرها، والبحث عن حلّ لها، أو التخفيف من حدتها، أو إرشاد النّاس إلى كيفيّة التعامل معها؛ كلٌّ من زاويته الخاصّة. وتصل درجة أهميّة هذه الظّاهرة إلى تخصيص كلّ علم فرعا من فروعه لدراسة الأوبئة، فوُجد علم نفس الوباء، وعلم اجتماع الوباء، وعلم الوباء...

-الوباء من منظور ديني هو عقاب إلهي بالنّسبة للتفكير الأسطوري القديم، وهو ابتلاء في الدّين الإسلامي يحلّ على المؤمن لاختبار صبره، وعلى العاصي ليدرك ضعفه، وقلّة حيلته أمام جبروت الله علّ ذلك يدفعه إلى التوبة.

-عرفت كلّ الحضارات على مرّ التّاريخ الأوبئة المميتة المدمّرة بمقاييس خياليّة، ورغم تنوّع الأوبئة يبقى الطّاعون بطلها في القرون الأولى منذ التأريخ للوباء، وساهم في استفحالها جميعا الحركة النشيطة للإنسان براً، وبحراً لممارسة التجارة، دون إغفال ما تسببه الحروب من قتلى، وتعفّن في الجثث، تؤدّي إلى تلوث المحيطات والأوساط.

-تعدّ سياسة الحجر الصّحي بالعزل، والانعزال تقليدا مبثوثا انتهجته الحكومات منذ القديم للتخفيف من حدّة الانتشار، وكذلك من أجل الوقاية، لكنّ هذا الإجراء ظلّ محموداً نسبيّاً فقط أمام قوّة الأوبئة، وشدّة فتكها.

- أكّد الوباء على سلطانه وهيبته أمام العلم والطب؛ إذ لم يتجاوز الاثنان رغم التقدّم الهائل المسجّل لهما في حال اجتياح وباء ما تلك الطرق الوقائيّة، والحترازيّة، وبعض المسكّنات، واللقاحات التي لا تتحكم في تزايد، أو تراجع الوباء، وهذا مُسجّل منذ القديم إلى العصر المعاصر.

- الوباء موضوع مهمّ في الفلسفة كونه يطرح إشكالات تتعلّق بالإنسان، وما يهدّد وجوده واستقراره، وهذا من صميم الدراسات الفلسفيّة.

- الأوبئة من مواضيع علم الاجتماع المهمّة، لذلك هي فرع خاصّ من فروعه، تدور حوله الدّراسات وتُشكَّل فيه النظريّات، وتؤسّس منه القوانين، والتعليمات حرصاً على الاستقرار الاجتماعي، وخلق سبل التعايش.

- علماء الاقتصاد يعيدون ترتيب الأولويّات ترتيباً استثنائيّا، فتصبح الصّحة هي أولى الاهتمامات؛ فمن الضّروري تزويد هذا القطاع بالمعدّات اللّازمة للعلاج، والوقاية على حدّ سواء، إضافة إلى ضرورة توفير الغذاء في ظل الحجر الصحّي وتراجع اليد العاملة، دون إغفال للطاقات البشرية الهائلة التي ستُحرم من التعليم وبالتالي خسارة أدمغة مستقبليّة تدير المؤسّسات.

- موضوع علم النّفس هو البحث الدائم عن السبل المؤدّية إلى توازن الذوات داخليّا، ومع العالم الخارجي، ولأن الأوبئة تؤثّر على هذا التوازن فمن البديهي أن تكون محلّ دراسة في هذا العلم.

و بالنسبة للأدب فيمكن القول إن: الوباء تجاوز دلالته الطبيعيّة في الأدب فنتجت ظاهرة فنيّة جديدة تسمّى بـ"أدب الأوبئة"، صوّر في مجملها المبدعون وقع الوباء على النفوس، والوجع الإنساني الذي يلحق بكلّ من عايشه، كما أكّدت الأشعار أنّ الشعر مرآة للوجدان، وسجلّ للأحداث، تجتمع على صفحاته الآمال، والآلام، وتنبعث من أبياته الضّحكات، والآهات، فهو انعكاس لما يجول في الوعي الجمعي، كما أنّه رؤية لصوت الفرد الشّاعر الذي يملك رؤية واقعية، ورؤيا فنيّة في آن واحد.

ويمكننا أن نلخّص علاقة الشّعر بالأوبئة بالقول: إن النتاج الشعري العربي في موضوع الوباء كان غزيرا عبر العصور مقارنة بالنتاج الغربي؛ لأنّ الشّعر بالنّسبة للعرب هو ديوانهم يسجلون عليه حياتهم.

* تفشي الطّاعون في بلاد العرب، فاشتدّ لذلك شعورهم بالخوف، والهلع، والعجز أمام قوّة بطشه فنسبوه إلى الجنّ. وعبّروا عن عاطفة الحزن، فكثرت المراثي، كما عبّر الشعراء عن فرحتهم بالموت بسبب الطّاعون لحديث الرّسول - صلى الله عليه وسلّم -، الذي يبشّر

ضحايا الطّاعون بالشّهادة، كما تجسّد في أشعارهم امتثالهم لتعليماته -صلى الله عليه وسلّم- القاضية بعدم الدّخول، أو الخروج من منطقة فيها وباء. وفي أشعارهم تسليم بقضاء الله وقدره، والرضا بالبلاء. وقد عدّ بعض الشّعراء الوباء عقابا يحلّ على النّاس لكثرة ارتكابهم للذنوب والمعاصي، وركّز آخرون في حديثهم عن الطّاعون على الجانب الوجداني، أمّا شعراء وباء فيروس كورونا فركّزوا على الجانب التّصوري التقريري، وهذا لا ينفي إجادة شعراء الطّاعون في توصيفه، لكن استحضارهم للوجدان كان أقوى. وقد أُنتجت بعض القصائد متزامنة مع وباء فيروس كورونا جاءت في جملتها أقرب للنّظم منها إلى الشّعر، اعتلتها ملامح النثريّة، والخطابة، وافتقرت إلى الحسّ الشعري، والتصوير الفنّي فخلت من أخيلة مبتكرة، أوعواطف جيّاشة، فضلا عن اللّغة المباشرة البعيدة عن الرمزيّة.كما يمكن القول أنّ الشّعراء استخدموا وباء الطّاعون بالذّات للتعبير عن أغراض أخرى، كالهجاء والمدح، فوصفوا قوة ممدوحيهم على أنّهم طواعين تنزل على أعدائهم فتلحق بهم الأذى، وسخروا في المهاجي من عدم نفع المهجوّوين، وإفسادهم في الحكم، كما يفسد الطّاعون كلّ مكان يحلّ به.

و بالنسبة للنصوص المسرحية فقد حضرت فيها الأوبئة حضورا رمزيّا متعدّد الدلالات، ولم يهتم فيها كتاب المسرح بتحليل الوباء بيولوجيّا، والتعريف بأسباب ظهروه بقدر ما كان بالنسبة إليهم وسيلة لتحليل قضايا اجتماعية، كالفساد الأخلاقي. وتعرّض بعض كتّاب المسرح من خلال الأوبئة إلى بعض مشكلات المجتمع كمشكلة الطبقيّة، وعدم قيام المسؤولين بواجباتهم تجاه الرعيّة، وجشع التجّار، بينما جعل بعض المسرحيّين الوباء قناعا سياسيّا يصدحون من خلاله بتذمّرهم، وسخطهم على النّازية، والفاشيّة وأتباعهما.كما صوّر مسرحيون آخرون الوباء على أنّه وباء الأفكار، والإيديولوجيّات، والعادات والتقاليد البالية، التي وجبت الثورة عليها، ومحاربتها، وتحدّيها؛ لأنّها تفشّت بين العقول كالوباء السّريع العدوى. وعالج بعض المسرحيّين مشكلة الخوف، والاهتزاز النّفسي لدى الشباب، وجعلوا هذه المشكلة النفسيّة وباء، وجب التخلّص منه بالمواجهة والتحدي كما صوّروا المرأة في المجتمع ومعاناتها من خذلان الرجل لها، في حين تمسّك مسرحيّون آخرون بالفكرة الموروثة القائلة بأنّ الوباء هو عقاب إلهي يتأتى نتيجة طغيان النّاس، وانغماسهم في الخطايا والذنوب

بأن جعلوه مستفزّا لمخزون الشّر في النفس البشريّة، حيث ينحرف بظهوره النّاس، ويقترفون أفضع الجرائم في سبيل البقاء. على أن آخرين منهم عرضوا الوباء البيولوجي على أنّه أرحم من الأوبئة، التي يسلّطها الغرب المتعسّف على دول العالم الثالث كوباء العولمة.

و أمّا الرّواية فقد تراوحت طرق توظيف الوباء فيها، بين توظيف مباشر واقعي، وتوظيف رمزي تخييلي، اختصر أبعاد الوباء الدلاليّة وهي: البعد النفسي العاطفي، والبعد السياسي التّاريخي، والبعد الاجتماعي، والبعد الأخلاقي، والبعد الجنسي، والبعد العجائبي، وترجع الأسبقيّة لتوظيف الوباء في الرّواية عند الغرب لـ"**بوكاتشيو**" في "**الديكاميرون**"، وعبّر الروائيون الغربيون من خلال الوباء عن تزمّت العصور الوسطى، وتحجّرها، وسيطرة الكنيسة، ورجال الدّين، مبشّرين بعصر النهضة، ومنادين بالبورجوازيّة الصّاعدة، كما جعل الروائيّون من الوباء قناعا سياسيّا للنّازيّة والفاشيّة؛ فبيّنوا أنّ مواجهتها ضرورة لا مفرّ منها، والقضاء عليها ليس فكرة مستحيلة. وأمّا عند العرب فقد كان "**طه حسين**" سباقا لتوظيف الوباء في روايته" الأيام". وقد كشف الرّوائيون العرب من خلال توظيفهم لموضوع الوباء عن زيف النظم السياسيّة، التي لا تعاقب المجرمين، وتعلّق الفساد الخلقي، والاجتماعي على الفئات الضعيفة،كما سلّطوا من خلال الوباء الضّوء على أنانيّة النّفس البشريّة، وسلطويّتها في الظّروف الحرجة، كاشفين عن ارتفاع منسوب الشّر فيها إذا ما تعلّق الأمر بالبقاء، وطرحوا من خلال الوباء قضيّة مهمّة، جاعلين للإنسان دورا كبيرا في ظهور الأوبئة، من خلال ممارساته التعسّفيّة ضدّ الطبيعة، وبأنّه وحده المسؤول عن إبادة نفسه إذا لم يغيّر من معاملته السيّئة لها. وقدّم بعض الروائيين رسالة مفادها أنّ العدالة الاجتماعيّة تقتضي موت الفاسدين، والحياة تستمرّ من خلال من فقهوا الدّرس، وانتفعوا بمغزاه.كما كشف آخرون من خلال الوباء عن جشع بعض الفئات في المجتمع، وتوحّشها، باستغلال اللّصوص والعصابات لتردّي الأوضاع باجتياح وباء ما مجتمعا ما، وذلك بالانقضاض على كلّ ما يتحرّك. كما حضر الوباء حضورا بيولوجيّا عمل من خلاله الروائيون على رصد هشاشة الأنظمة الصحيّة في الدول المتقدّمة، والأكثر منها سوءً في الدول الفقيرة، كما أنذر حضوره من هذا المنظور بتحوّل وسائل الحرب، من أسلحة الدّمار التقليديّة المعروفة إلى أسلحة بيولوجيّة، يتم فيها اختلاق الأوبئة، وتصديرها إلى العالم.

المصادر والمراجع

أولا : القران الكريم، برواية حفص عن عاصـــم، دار الغد الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 2005.

ثانيا : المراجع

أ-الكتب باللغة العربية

1 - إبراهيم مصطفى إبراهيم : نقد المذاهب المعاصرة، دار الوفاء للطباعة والنشر، اسكندرية، مصر، ج1، الطبعة 1، 2013.

2 - ابن الوردي : ديوان ابن الوردي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، مصر، 2006.

3 - ابن خاتمة الأنصاري : تحصيل غرض القاصد، منشورة ضمن ثلاث رسائل، تحقيق محمد حسن، المجتمع التونسي للفنون والعلوم والآداب، بيت الحكمة تونس، 2013.

4 - أبو الفداء الحافظ ابن كثير : البداية والنهاية، ج13، مكتبة المعارف، بيروت-لبنان، 1995.

5 - أبو الفداء الحافظ ابن كثير : البداية والنهاية، ج8، مكتبة المعارف، بيروت- لبنان، 1413هـ-1992م.

6 - أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني، تحقيق سمير جابر، ج16، دار الفكر، ط2، بيروت، لبنان، 2009.

7 - أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر : بلاغات النساء، صححه وشرحه أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، مصر، 1908.

8 - أبو تمام : شرح ديوان أبي تمّام، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه راجي الأسمر، ط2، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1994.

9 - أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني : صحيح الجامع الصّغير وزياداته، ج 2، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان ، ط3، 2006.

10 - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : الحيوان، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، ج6 مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1967.

11 - أحمد بن علي : تقي الدين المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق : عبد القادر عطا، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

12 - أحمد خالد توفيق، الوباء، سلسلة سفاري 1، روايات مصرية للجيب، المؤسسة العربية الحديثة، مصر، 1996.

13 - إسماعيل مهنانة، هالوسين، دار الجزائر تقرأ، الجزائر، ط1، 2018.

14 - امرؤ القيس جندح بن حجر بن الحارث الكندي : ديوان امرئ القيس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (دط) 2004.

15 - إميل كبا : فن الإضحاك في مسرحيات توفيق الحكيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، (دط)، 1997.

16 - الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بذل الماعون في فصل الطاعون، أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، الرياض، د.ت

17 - حامد عبد القادر، دراسات في علم النفس الأدبي، المطبعة النموذجية، القاهرة، مصر، ط1، 1988.

18 - حسين عبد الحميد أحمد رشوان : الأسرة والمجتمع (دراسة في علم اجتماع الأسرة)، منشورات مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، ط1، 2012.

19 - حفصة بوطالبي : عالم أبي العيد دودو القصصي -دراسة موضوعاتيّة- دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2007.

20 - حمد بن جرير الطبري : تاريخ الأمم للملوك،ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1405.

21 - حميد علاوي، توظيف الأسطورة في مسرح توفيق الحكيم، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2012.

22 - خير الدين بن محمود الزركلي : الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002.

23 - ربيع جابر : أمريكا، المركز الثقافي العربي، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط2، 2010.

24 - الشاب الظريف شميّ الدين محمد بن عفيف الدين التلمساني : تحقيق وتقديم: شاكر هادي شكر، مطبعة النجف، العراق، 1967.

25 - شهاب الدين النويري : نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق : محمد فتيحة وآخرين، دار الكتب العلمية، ج 12، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

26 - صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق : علي أبو زيد وآخرون، ج 1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

27 - الطبري : تفسير الطبري تحقيق بشار عوار معروف، مؤسسة الرسالة، ج1، ط1، بيروت، سوريا، 1994.

28 - طه حسين : الأيام، مركز الأهرام للترجمة و النشر، القاهرة، ط1، 1929.

29 - عادل كوركيس هرمز: مقدمة مسرحية كارل تشابيك، الوباء الأبيض، دار الرشيد، بغداد، 1979.

30 - عباس محمود العقاد : الصهيونية العالمية، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، يورك هاوس، المملكة المتحدة، ط1، 2014.

31 - عبد الرحمان بن عمروا الشهير بأبي زرعة الدمشقي : تاريخ أبي زرعة الدمشقي، تحقيق: شكر الله نعمة الله القوجاني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1996.

32 - عبد الرحمن بدوي : فلسفةُ الحياةِ والكون، مؤسسة كتابك، القاهرة، مصر، عدد 162، 1987.

33 - عبد الكريم الأشتر : شعر دعبل بن علي الخزاعي، مجتمع اللغة العربية، دمشق، ط 2، 1983.

34 - علي الجارم : ديوان علي الجارم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2012.

35 - عمر بن أحمد بن هبة الله بن كمال الدين بن العديم، بغية الطالب في تاريخ حلب، الجزء الأول تحقيق : سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، دون طبعة، 2002.

36 - عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، ج2، بيروت، لبنان، 2008.

37 - فدوى طوقان : الأعمار الشعرية الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، 1993.

38 - الفراك أحمد : فلسفة المشترك الإنساني، مطابع إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط 1، 2016.

39 - لحسن عقيل : معجم الأعشاب المصور، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1 ، بيروت، لبنان، 2003.

40 - مجد الدولة أسامة بن مرشد بن منقد الكناني : المنار والديار، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ج2، بيروت، ط 1، 1965.

41 - محمد أبطوي، دراسة الوباء وسبل التحرر منه : الأوبئة في الطب العربي وفي التاريخ الثقافي والاجتماعي، المركز العربي للأبحاث والدراسات، الظعاين، قطر، 2020.

42 - محمد القاضي وآخرون : معجم السرديات دار محمد علي للنشر، تونس، دار العرابي لبنان، ط1، 2010م.

43 - محمد بن جرير الطبري : تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407.

44 - محمد ربيع : عطارد، دار التنوير للطباعة و النشر، مصر، ط1، 2015.

45 - مهدي محمد ناصر الدين : ديوان الأخطل، دار الكتب العلمية، ط 2، بيروت، لبنان، 1994.

46 - نازك الملائكة : شظايا ورماد، المجلد02، دار العودة، بيروت، لبنان، 1997.

47 - نجيب محفوظ : المسرحيّات، دار الشروق، ط2، القاهرة، 2008.

48 - نجيب محفوظ : ملحمة الحرافيش، دار مصر للطباعة، القاهرة، ط1، 1977.

49 - نقولا الأسطنبولي، نقولا بن يوسف الترك، ديوان الترك، ضبط نصوصه ووضع مقدمته وفهارسه فؤاد إفرام البستاني، وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، مديرية الآثار، بيروت، لبنان، 1949.

50 - نقولا الترك : ديوان المعلّم نقولا الترك، ضبط نصوصه ووضع فهارسه فؤاد إقرام البستاني، وزارة التربية والفنون الجميلة، مديرية الآثار، بيروت، لبنان، 1949.

51 - نقولا حداد : علم أدب النفس أوليات الفلسفة الأدبية، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، يورك هاوس، المملكة المتحدة، ط1، 2014.

52 - نورة الشملان : أبو ذؤيب الهذلي، حياته وشعره، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1980.

53 - هاني إسماعيل رمضان، عماد عبد الباقي علي : تجليات كورونا في الشعر المعاصرة -دراسات نقدية، المنتدى العربي التركي للتبادل اللغوي، تركيا، الطبعة الأولى، 2021.

54 - هاني إسماعيل معنان عماد عبد الباقي علي، تجليات كورونا في الشعر، المنتدى العربي التركي للتبادل اللغوي، ط1، تركيا، 2024.

55 - يمنى طريف الخولي : الزمان في الفلسفة والعلم، مؤسسة هنداوي للنشر، القاهرة، مصر، دون طبعة، 2012م.

56 - يوسف بن تغري بردي جمال الدين، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثّقافة والإرشاد القومي، الجزء العاشر، دار الكتب، مصر، دون طبعة، 2016.

ب - الكتب المترجمة بالعربية

1 - أدغار ألان بو : قناع الموت الأحمر، تر : رحاب عكاوي، دار الحرف العربي للطباعة و النشر، بيروت، ط1، لبنان، 2009.

2 - ألبير كامو، الطاعون، ترجمة : كوثر عبد السلام البحيري، المؤسسة المصرية العامة لتأليف والطباعة والنشر، القاهرة، مصر،ط1 ،1947.

3 - أنتوني غدنز : علم الاجتماع، ترجمة : فايز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط 1، 2005.

4 - أندريه شديد : اليوم السادس، ترجمة : حماده إبراهيم، المشروع القومي للترجمة، مصر، ط 1، 2002.

5 - أولد ستون مايكل : الفيروسات والأوبئة، ، مطبعة اكسفورد، ط1، 2017.

6 - برتولد بريخت : الأروجون الصغير، ترجمة : فاروق عبد الوهاب، دار هلا للطباعة، الجيزة، مصر، 2000.

7 - توماس مان : الموت في البندقية، ترجمة : كميل قيصر داغر، أزمنة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2014.

8 - جاك لندن : الطاعون القرمزي، ترجمة : الزهراء سامي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ط1، 2020.

9 - جان بول سارتر، ما الأدب؟، ترجمة : محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط 4، 1979.

10 - جان دي لافونتين : الحيوانات المصابة بالطاعون، ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا، دار ثقافة الأطفال، بغداد، العراق، ط 1، 1987.

11 - جون غاستر وإدوارد كون : قاموس المسرح، مختارات من قاموس المسرح العالمي، ترجمة مؤنس الرزاز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1982.

12 - جيوفاني بوكاشيو: الديكاميرون، ترجمة: صالح علماني، دار الثقافة و النشر، ط1، دمشق، سوريا، 2006.

13 - حنا آرندت : الإرادة، ترجمة : أ.نادر السنوسي، دار الرّوافد الثقافيّة للنّشر، ط 1، 2017.

14 - دانيال ديفو : مجلة الطاعون، ترجمة : أحمد كمال، أركان لدراسات و الأبحاث و النشر، المنصة الإلكترونية، القاهرة ، مصر، ط 1، 2020.

15 - روبرت ج : الموت الأسود جائحة طبيعية وبشرية في عالم العصور الوسطى، ترجمة : عبد القادر كحيلة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2017.

16 - رودولفو ساراتشي : علم الأوبئة، ترجمة : أسامة فاروق حسن، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2015.

17 - رودريجر سافرانسكي : معلم ألماني (هايدجر وعصره)، ترجمة : عصام سليمان، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، ط1، 2018.

18 - شارل دينكز : البيت الكئيب، ترجمة : هاني تابري البيت الموحش، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1، 1995.

19 - شولتز دوان – سيدني الن شولتز، تاريخ علم النفس الحديث، ترجمة : قدري حفني، المركز القومي للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 2017.

20 - غابريال غارسيا ماركيز، الحب في زمن الكوليرا، ترجمة : صالح علماني، مكتبة نوبل، دمشق، بيروت، ط 1، 1991.

21 - ماري شيللي : الإنسان الأخير (الطاعون)، ترجمة : عبد العزيز عواد العتري، مراجعة وليد الشايحي، دار الخان، الكويت، ط 1، 2019.

ج – الكتب باللغة الأجنبية

1 - Martin Luther : Table Talk, Edited by William Hazlitt, Cornell University Library (Original book), London, 1872.

2 - Nassim Nicholas taleb, The Black Swan : The Impact of the Highly Improbable (New York: Penguin Books, 2008.

3 - Chris Shilling : Sociology and the body ,Clarrical and New Agendas, The Sociological Review, vol. 55, no. 1-sup (May 2007).

4 - Diane Reay: It's All Becominga habitus: Beyond the habitual Use of Habitus in Educational Research, British Journal of Sociology of education, vol 25, nº4, 2004.

5 - Marcel Nouss: Thniques of the Body, Economy and Society, vol 2, n1, 1973.

6 - Darim Al Basam: The Coronavirus: Sociology of a Pandemic, gulf times, 21/3/2020, accesed on 21/3/2021 at : https://bit.ly/3w6mhqt.

ثالثا : المجلات والدوريات والجرائد

1- أحمد ماريف : الفلسفة والجائحة بحث عن مستقبل أفضل مجلة حوار الثقافي، الجامعة عبد الحميد بن باديس، كلية العلوم الاجتماعية، مخبر حوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسفة السلم، المجلد التاسع، العدد الثاني، 2020.

2- أحمد محمود عبد الحميد البياتي، الطّاعون في الشعر الإسلامي والعبّاسي، مجلة كلية المعارف الجامعة، المجلد32، العدد02، 2021.

3- أنور مغيث : الفلسفة وأزمة الإنسان، مجريدة الأهرام المصرية، العدد 48980، سنة 2021.

4- بوفلجة غيات : دور الأخصّائي النّفسي في بيئة الوباء، مجلّة العلوم الاجتماعيّة، العدد: 08، 2022.

5- حسين عمر دراوشة : أدب الأوبئة وتجليّات كورونا في سياق نصوص الخطاب الشّعري المعاصر، المجلّة الدوليّة للدّراسات الأدبيّة والإنسانيّة، مخبر الموسوعة الجزائريّة الميسّرة، جامعة باتنة 1، الجزائر، العدد01، مارس، 2021.

6- حمد أبو زيد : الملاحم كتاريخ وثقافة (مثال من الهند - الرمايانا)، مجلة الفكر، وزراة الإعلام، الكويت، مجلد 16، عددد 1، 1985.

7- دومنيك فانك Dominique Ninck**:** الجائحة والعلوم الاجتماعية، مجلة عمران دار البصام، العدد 36، 2021.

8- سليم بوفنداس: حوار مع الدكتور إسماعيل مهنانة أستاذ الفلسفة المعاصرة، مجلة النصر الإلكترونية، 31 مارس، 2020.

9- سهيلة بوساحة: تداعيات جائحة كورونا على الأدب –مقاربة موضوعاتية في قصيدة "كورونا" لعبد العزيز الهمامي-، مجلة التواصل، العدد28، 2022.

10- شريفة بوكاف، وعلاوة ناصري: إيديولوجيا الكاتب في رواية الآدميون لإبراهيم سعدي مقاربة تأويلية، مجلة الدراسات الإنسانية، المجلد 16، العدد 02، تبسة، الجزائر، السنة 2022.

11- شعوفي قويدر : الفلسفة والأوبئة، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد7، العدد02، بشار، الجزائر، 2021.

12- ضياء عبد الله الكعبي : أدب الأوبئة بين الخيال والواقع، مجلة الاتحاد، العدد24، نوفمبر 2020.

13- عالم اجتماع عراقي : مقال بعنوان "إبستيمولوجيا الجائحة في معرفة المعرفة"، مجلة عمران، دار البصام، العدد 36، 2021.

14- عبد الغني خشّة : الحبّ في زمن الكوليرا، والكورونا بين الشّعر والسّرد، مجلّة الموروث، المجلّد10، العدد01، الجزائر، سبتمبر2021.

15- عصام أسامة : فن العيش: الفلسفة في زمن كورونا، مقال منشور بجريدة المحطة، بتاريخ 1 يونيو 2020.

16- عواد علي : تمثلات المسرح للأوبئة... مآس كونية أبطالها غير مرئيين، جريدة العرب، العدد11662، 2020.

17- فتحي محمد عطية عبد السلام : الأديان السماوية ودورها في حماية المجتمع من الأوبئة والأمراض "كورونا كوفيد 19 نموذجا"، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالديدامون، شرقية، العدد العاشر، مصر، 1445هـ- 2023م.

18- فخري الدباغ : السلوك الإنساني (الحقيقة والخيال)، كتاب العربي الصادر عن مجلة العربي، الكويت، عد: 15، يوليو 1986.

19- محروس محمود القللي : ديستوبيا الوباء في الرواية المعاصرة (دراسة مقارنة)، مجلة كلية الآداب، جامعة الفيوم، مجلد13، عدد 1، مصر، 2021.

20- محمد الكرادي : الجوائح والأوبئة في المغرب ما قبل الحماية، مؤتمر المجاعات والأوبئة في الوطن العربي، المركز متعدد التخصصات للبحث في حسن الأداء والتنافسية، جامعة محمد الخامس، المغرب، 2021.

21- محمد سالم : أدب الأوبئة في التراث النقدي والبلاغي -دراسة في شعر على الدرويش ونقولا الأسطمبولي ، المجلّة العربية مداد، العدد 11، قسم اللغة العربية، كلية اللغات والاتصال، جامعة السّلطان زين العابدين -ماليزيا-، أكتوبر2020.

22- محمد عبد الستار شاهين : التحليل النفسي لأدب القص، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة بابل، العراق، مجلد 11، عدد 32، 2016.

23- محمود محمد علي : التحولات الفلسفية في ظل الجوائح، مجلة الهدف، العدد 4، 2021.

24- الهواري غزالي: الطاعون الحياة في موت مشاهدة، قراءة في الشعر العربي القديم، مجلة "نزوى"، العدد 103، عمان، الأردن، 2020.

رابعا : الرسائل العلمية (الماجستير والدكتوراه)

1- بلقاسم الطابي : الموت بمصر والشام في العهد المملوكي، مخطوط رسالة دكتوراه، جامعة تونس الأول، كلية العلوم الإنسانية، لسنة 1996-1997.

2- حفيظة مسلك : مسرحية أوديب بين سوفكليس وتوفيق الحكيم -دراسة مقارنة-، مخطوط رسالة الدكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2016-2017.

3- السعيد عموري : الكتابة والتشكيل الأيديولوجي في الرواية العربية المعاصرة (دراسة نقدية أيديولوجية)، مخطوط رسالة الدكتوراة، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، 2013.

4- عائشة فؤاد علي : رواية الرعب بين ستيفن كينج وأحمد توفيق، دراسة مقارنة، رسالة ماجيستر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 2020.

خامسا : المعاجم

- باللغة العربية

1- ابن منظور : لسان العرب، ج 15، دار صادر، بيروت، لبنان، 1863، ط 6، 2008.

2- أبو الحسن علي اسماعيل بن سيده الموسي: المخصص، تحقيق خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، ج2، 1996.

3- بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1، 1998.

4- جبور عبد النور : المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، لبنان، ط1، 1979.

5- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وآخرون، ، دار الهلال، (دب)، (دط)، (لات).

6- مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، مطبعة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط 4، 2004.

- المترجمة

- جيرالد برنس : المصطلح السردي (معجم المصطلحات)، ترجمة: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط 1، 2003.

- المزدوجة

- أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، إنجليزي فرنسي عربي، مكتبة لبنان، (د-ط)، بيروت، 2009.

سادسا : المواقع الإلكترونية

1- أحمد محمد عوف : موسوعة حضارة العالم، نسخة محفوظة على موقع "واي باك مشين" منذ : 01 ديسمبر2017. https://web.archive.org/

2- أحمد منديل : نظرة عامة في علم الوباء، المعهد العالي للصحة، جامعة إسكندرية، Slidephayer.com

3- بنت جميل : الأثرياء يفرون من المدينة والسود يهتمون بمرضى الوباء 1793، مجلة اليوم السابع، 2020، على الموقع : m.youm7.com

4- رقية عنتر أسّو : الأوبئة في التاريخ، مجلة العين، أبو ظبي، على الموقع Al-ain.com

5- جيفري تشوسر، حكايات كانتربري، ترجمة: مجدي وهبه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1983، https://www.library arab.com/ vb، منتديات مكتبة العرب.

6- خالد بشير : أخطر الأوبئة عبر التاريخ، حفريات، 2018، عبر الموقع : https://www.rafryat.com

7- سعيد بوطاجين، مرايا عاكسة، الأدب و الأوبئة، بحث على موقع : www.mculture.gov.dz.

8- شيباني ليلى: بصمة الأخصّائي النّفسي في الوباء. https://www.dz-res.com
9- طه عبد الناصر رمضان: أسوأ فترة عاشتها روسيا، مجلة العربية، بتاريخ27 أفريل 2020، على الموقع: Alarabya.net
10- عامر محمد نزار جلعوط : فقه الأوبئة، شركة الأدهم للصرافة، 2020. www.kantakji.com
11- عبد الكريم العامري، مسرحية "وباء"، النّص غير موجود ورقيّا وهو مدرج فقط عبر الموقع : https://alantologia.com
12- عبده وازن، الأوبئة تجتاح الروايات، 2020، موقع اندبندنت عربية، www.independentarabia.com.
13- علي الدرويش، ديوان الشعر، نسخة قديمة غير مطبوعة مصوّرة على شبكة الانترنت، وقفية الأمير غازي للفكر القرآني.
14- عمار سيف، مسرحية "كمامة" على الموقع : https://almasr7news.com.
15- فابري استريد: الإنسان والفيروسات، ترجمة: الهادي الإدريسي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة "مشروع كلمة"، 2012، عبر الموقع الالكتروني : BBC.arabik
16- فتحي المسكني: من معارك الجماعة إلى حروب المناعة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، العدد43، 2015، ص823. https://www.healty.gov
17- مؤلف مجهول، مذكرة حول الجوانب المتعلقة بالصحة النفسية في ظل الوباء، مجلة "ذا لانسيت" العدد395، 2020، ص 14. Mhpss.refgroup@gmail.com
18- محمد عبد الرحمان، الأوبئة في الملاحم القديمة، جريدة اليوم السابع الالكترونية، السبت 28 مارس 2020، عبر الموقع: m.youm7.com.
19- محمد علي صالح، حرب شعراء الغرب ضدّ كورونا، موقع مجلة المجلة : https://www.majalla.com، 4 جوان 2020.
20- مد بلوعي : النقد الموضوعاتي الأسس والمفاهيم، مؤسسة واحة الدرر، 1423هـ/2011م، على الموقع : http://www.dorarr.wds

21- مشير باسيل عون: مقاربة فلسفية للوباء، مقال منشور بالاندبندنت العربية، الموقع: https://web.facebook.comمقاربة-فلسفية-لوباء-كورونا-وآثاره-في-السيروة-البشرية-مشير-باسيل-عون-يحتار-الإنسانrdr_rdc=1&_?locale=ar_AR/

22- منى غنيم، قراءة تحليلية لرواية مخطوبون، 2020، بوابة الشروق،
http//: www.shorouknews.com

23- مؤلف مجهول، مسرحية "كوليرا" لوصف معاناة المرأة العراقية، مدونات عربية عبر الموقع : http://alaaaltrfee.arablog.org.

24- ميدة محمد : تاريخ الوباء من الطاعون الأسود إلى كورونا، مجلة الباحث للدراسات والأبحاث، العدد17، المغرب، 2020، عبر الموقع الالكتروني : www.justicomaroc.com

25- نور محمد يوسف، مقال بعنوان "الأوبئة في المسرح العالمي"، لم يرد ورقيّا وورد عبر الموقع السوري "نفحات القلم"، 2020/05/08م.

26- يارا أبو زيد، 2020، الطّاعون في أعمال شكسبير، الباحثون المصريون، مبادرة علمية تطوّعية تم إنشاؤها في 2014/08/04. الموقع :
https://egyresmag.com/لطاعون-في-أعمال-شكسبير

27- يوسف أحمد العثيمين: آثار الأوبئة، منظمة التعاون الإسلامي، 2020، على الموقع: www.sesric.org.

الفهرس

المقدمة.....9

الفصل الأول
الوباء في مختلف العلوم

الوباء في مختلف العلوم.....13
تقديم.....13
1- مفهوم الوباء.....13
2- التفسير الديني للوباء.....15
3- الوباء تاريخيا.....20
4- الوباء علميا (علم الوبائيات).....37
5- الوباء في الفلسفة.....39
6- الوباء في علم الاجتماع.....42
7- الوباء في الاقتصاد.....46
8-الوباء في علم النفس.....49

الفصل الثاني
خطاب الوباء في الأدب

الوباء في الأدب.....55
تقديم.....55
1- مفهوم أدب الوباء.....56
2- خطاب الوباء في الشعر.....57
3- خطاب الوباء في النثر.....90
الخاتمة.....133
المصادر والمراجع.....137

أنجز طبعه في أكتوبر 2025
على مطابع عمار قرفي - باتنة - الجزائر